

جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم النفس والفلسفة

تخصص فلسفة عامة

الرقم التسلسلي:.....

سؤال الأخلاق عند طه عبد الرحمان

(دراسة تحليلية نقدية)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

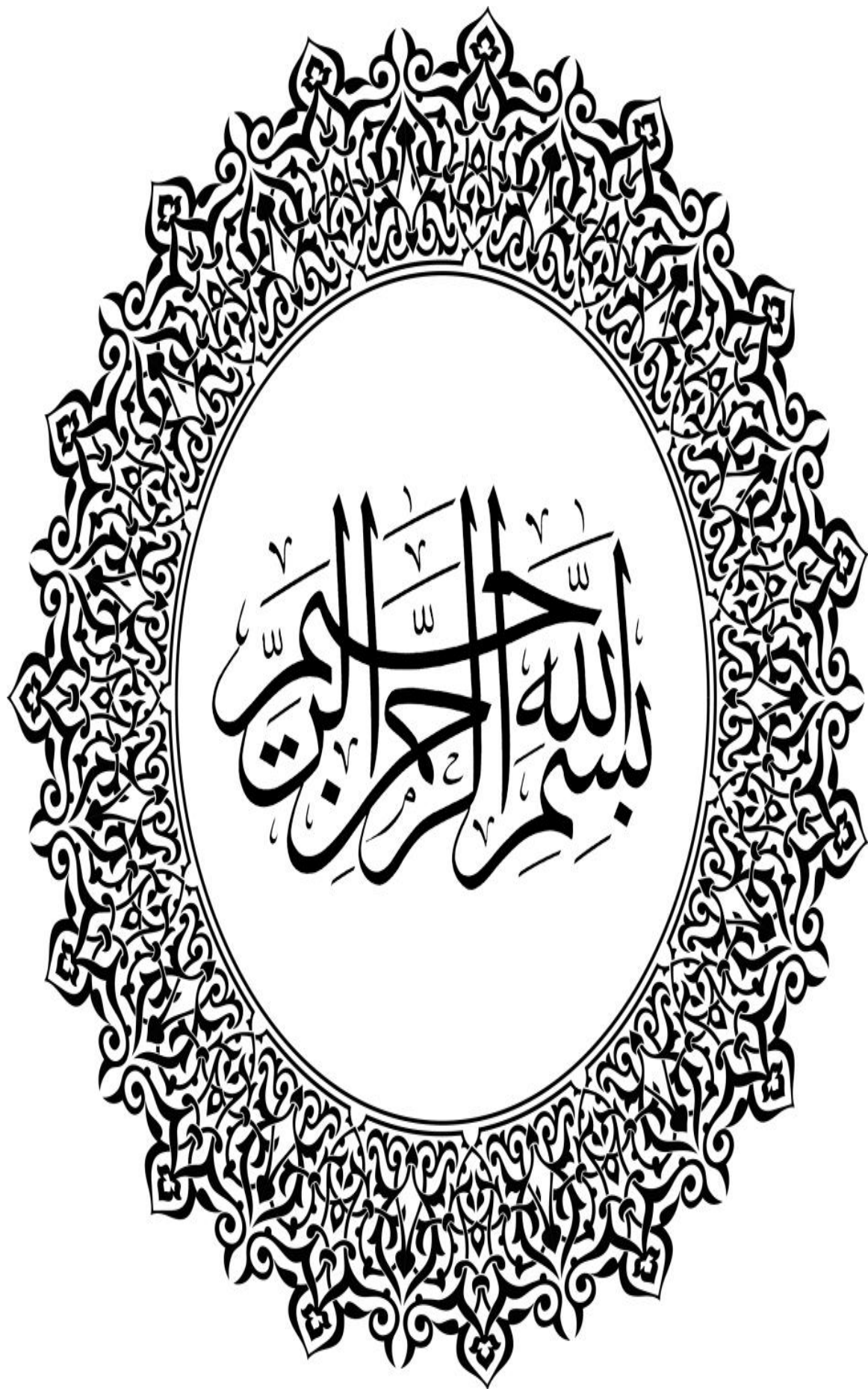
إشراف الأستاذ:

أ.د بوصلحاح حمدان

إعداد الطالب:

عزوز أسماء منيرة

السنة الجامعية: 2026/2025



كلمة شكر

إلى الأستاذ الفاضل ، (بوالحيح حمدان)

الذي صبر حين كان الصبر أصعب من العطاء، صبر على بطاء خطواتي، وثقل مسؤولياتي، ولم يكن ذلك منه تساهلاً ...

بل كان فهمًا نادرًا لمعنى أن يكون المرء في آنٍ واحد طالبًا وإنسانًا تتقاذفه الحياة...

في اللحظات التي شككتُ فيها بنفسِي، كان حضوره قوة لم أطلبها فوجدتها كرم منه، فله مني خالص الشكر والتقدير، على كل كلمة توجيه أضاءت الطريق، وكل لحظة انتظار كانت في حقيقتها دعمًا صامتًا، وكل ثقة منحها لي قبل أن أمنحها لنفسي....

جزاه الله خيرًا على ما قدّم

والشكر موصول إلى كل أستاذ علم، وكل عامل أسهم، وكل زميل درس،

إلى كل من رافقنا في قسم الفلسفة على مشوار لم يكن بالهين،

مشوار من اختاره عرف أنه لا يُسلك بسهولة،

لكنه يُسلك بصحبة طيبة وهمة لا تلين

لكم جميعًا التقدير والامتنان

إهداء

إلى من لا يزال يحمل نفسه بثقل من نوع آخر، ثقل الأخلاق، والمسؤولية،

والضمير الذي لا ينام

إلى من يعرف معنى أن تخاف من الله لا من الناس، وأن تحاسب نفسك قبل أن

يحاسبك أحد

وأن تكون صادقًا في الخفاء حين لا يُجدي الصدق شيئًا ظاهرًا.

إلى من جمعني بهم الصدق والدين والأخوة،

أهدي ثمرة هذا التعب إلى عائلتي، كل واحد منهم علمني شيئًا لم تعلمه لي الكتب

وأخصّ بالذكر رفيقتي إيمان،

التي تجسّدت فيها الأخلاق الزكية بهدوء وطيبة لا تتكلف،

كانت سكينه حين اضطربت، وثباتي حين تزعزعت.

وإلى أسماء الصغيرة،

التي حملت اسمي قبل أن تعرف معناه،

أسأل الله أن يجعلها سالحة، وذخرًا لوالديها، ونورًا في دربهما.

مقدمة

مقدمة

يولد الإنسان حاملا في أعماقه نداء فطريا لا يخمد، نداء يشده نحو الكمال ويدفعه إلى ما هو ارفع وأسمى، وكأن روحه تعلم في سريرتها أنها لم تخلق لتسكن في حدود الدنيء والزائل، وليس هذا الشوق إلى الكمال إلا شوقا إلى الأخلاق في أعلى تجلياتها، تلك الأخلاق التي لا تختزل في قواعد سلوكية جاف، بل هي روح تسري فالوجود و تمنح الحياة معناها وبهاءها.

ففي خضم التاريخ الإنساني و التحولات الفكرية والقيمية وجد الإنسان المعاصر نفسه في مفارقة وجودية لافتة كلما ازداد تمكنا من أدوات السيطرة على العالم الخارجي ازداد شعورا بالغربة عن عالمه الداخلي ونتيجة ذلك إنسان يملك كل شيء إلا نفسه و يعرف كل شيء إلا كيف يكون إنسانا حقيقيا.

في ظل هذا الأفق المضطرب و أمام تنامي مظاهر الانحصار وتراجع المرجعيات القيمية برزت جهود فكرية وفلسفية جعلت من الأخلاق أساسا لمشاريعها الإصلاحية إدراكا منهم أن الأمة العربية بحاجة إلى إعادة اعتبار للبعد الأخلاقي والروحي.

وفي مقدمة هؤلاء الفيلسوف والمفكر طه عبد الرحمن إذ حمل لواء الإصلاح و التجديد منطلقا من مرجعية دينية حيث عمل على تطوير مقاربة فكرية تجمع بين أصالة المنطق الديني ومتطلبات الواقع المعاصر موظفا في ذلك آليات فلسفية ومفاهيم معرفية مستجدة تستجيب لمتطلبات الواقع الفكري الراهن.

تتمحور إشكالية البحث حول: الكيفية التي استطاع بها طه عبد الرحمن تشخيص الأزمة الأخلاقية الناتجة عن تداعيات الحداثة الغربية والنزعة الدهرانية، ومدى قدرة مقولاته التأسيسية كالأخلاق الائتمانية والتخلق المؤيد على تقديم بديل حضاري فعال يتجاوز مأزق القيم المعاصر؟.

ويتفرع عن هذا التساؤل الجوهري جملة من الأسئلة الفرعية:

1. ما هي الأسس الإبستمولوجية والأنطولوجية التي استند إليها طه عبد الرحمن في نقده

للحداثة الغربية وتفكيك الدهرانية؟

2. إلى أي مدى استطاع المشروع الطهوي تقديم مفهوم للأخلاق يتجاوز حدود الأخلاق

الوضعية الغربية، ليؤصل لنموذج أخلاقي مستمد من المرجعية القرآنية؟

3. هل يمتلك التصور الإصلاحية الإسلامي عند طه عبد الرحمن الإمكانيات العملية

والآليات المعرفية اللازمة لانتشار المنظومة القيمية للأمة من أزمته الراهنة، أم أنه

يظل مشروعاً تنظيرياً نخبوي الطابع؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وما تفرع عنها من تساؤلات، ارتأينا تقسيم البحث إلى

مقدمة، ومدخل تمهيدي، وثلاثة فصول، يتضمن كل فصل جملة من العناصر المترابطة

والمتكاملة.

الفصل الأول: خُصِّص لاستجلاء الجذور الفكرية والإرهاصات التاريخية للحادثة الغربية، إذ تناولنا فيه البيئة التكوينية للفيلسوف طه عبد الرحمن ومحطات تشكّل فكره، ثم عرضنا مقارنته النقدية للفكر الغربي الحداثي، مسلّطين الضوء على أبرز الآفات والاختلالات القيمية التي أفضت إلى انهيار المنظومة الأخلاقية.

الفصل الثاني: تناولنا فيه تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة في ضوء تداعيات الحداثة الغربية، مبيّنين جذور نشأتها وآفاق تجاوزها عبر مفهوم التخلّق المؤيد والأنموذج الائتماني ودوره في إعادة توحيد الأخلاق بالدين، مستندين في ذلك بصفة رئيسة إلى كتابه "بؤس الدهرانية".

الفصل الثالث: خصّصناه للمشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمن في فك الحصار عن أخلاق المسلمين، ثم وقفنا على أخلاق الإسلام من خلال القرآن الكريم وأثرها في بناء الحكم الرشيد، متخذين من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نموذجاً تطبيقياً يجسّد التوازن الدقيق بين الشدة والرحمة في تسيير شؤون الأمة والفرد دون إخلال بالثوابت الأخلاق الإسلامية.

واختتم الفصل بدراسة نقدية وتقويمية للمشروع الأخلاقي الطاهائي، قصد الوقوف على مدى إمكان تطبيقه وفاعليته في مواجهة التحديات الأخلاقية للواقع المعاصر.

المنهج المتبع :

اتّكأ هذا البحث على المنهج التحليلي بوصفه المقاربة المنهجية الأوفق لطبيعة الإشكالية المطروحة ومقتضياتها المعرفية، نظراً لما يتيح من إمكانية استعراض المفاهيم الفلسفية الجوهرية في كلّ من الفكر الغربي الحديث والفكر الإسلامي وتحليل مضامينها وبنياتها الداخلية.

ثم الانتقال إلى استقراء المشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمن وتفكيك آياته ومرتكزاته المعرفية في مجال التجديد الأخلاقي، مع ربطه بالمرجعية الإسلامية بوصفها المعيار الأول والأساس الذي يُقاس به صحة التوجهات الأخلاقية ومدى انسجامها مع الثوابت القيمة للأمة.

الدوافع الذاتية والموضوعية:

تتقسم دوافع إنجاز هذا البحث إلى شقين أساسيين، يتكاملان في تبرير الحاجة العلمية والمنهجية لهذا الطرح:

أولاً: الدوافع الذاتية:

لم يأت اختيار موضوع الأخلاق في مشروع طه عبد الرحمن وليد الصدفة، بل هو حصيلة مسار من الاهتمام الأكاديمي المتنامي بفلسفة المفكر، التي تمثل نموذجاً فريداً في المزوجة بين ثوابت الأصالة الإسلامية ومقتضيات العصر. وقد رسّخ هذا الاهتمام لدى الباحث الإطلاع المستفيض على المتن الطهوي، بما يحمله من ثراء مفاهيمي وإبداع

اصطلاحى يستوجب التفكير والنقد. لذا، يأتي هذا البحث محاولةً جادة لاستجلاء المعالم الإبستمولوجية لهذا المشروع، انطلاقاً من مسؤولية الباحث في التصدي لحالة التراجع القيمي التي تعترى المنظومة الأخلاقية المعاصرة في السياق العربى والإسلامى.

ثانياً: الدوافع الموضوعية:

تستند الأهمية الموضوعية لهذا البحث إلى مجموعة من الاعتبارات العلمية والواقعية،

أبرزها:

- يعالج المشروع الأخلاقى لطفه عبد الرحمن أزمة العقل العربى المعاصر، مقدماً تشخيصاً بنوياً لأسباب التآكل القيمي، وهو ما يجعل الدراسة استجابةً ضرورية لمحاولة فهم مآلات الفكر المعاصر.
- يكتسب البحث مشروعيته من سعي طه عبد الرحمن لتجاوز ثنائية التقليد والتبعية، عبر تأسيس رؤية أخلاقية بديلة تستمد مقوماتها من المرجعية القرآنية، مما يستوجب استنطاق هذا التراث وتفعيل مقاصده فى معالجة إشكالات الحداثة.
- يرمى هذا البحث إلى الكشف عن أسباب تعثر الحداثة فى السياق الإسلامى، واستشراف آفاق إحياء العقل الأخلاقى العربى، بغية تقديم أدوات معرفية أصيلة تساهم فى تحقيق النهوض الحضارى، وتمكن الأمة من التفاعل مع التحديات القيمية الراهنة بعيداً عن الاحتواء أو الانكفاء.

أهمية الموضوع :

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من تضافر أبعاد معرفية ومنهجية وواقعية، يمكن بلورتها

في النقاط الآتية:

- تتبع أهمية البحث من معالجته لإشكالية الأزمة الأخلاقية في الفكر العربي المعاصر، بوصفها إحدى أكثر القضايا إلحاحاً في ظل تحديات الحداثة الغربية. ويقدم البحث إضافة نوعية من خلال التفكيك التحليلي للمفاهيم الجوهرية في مشروع طه عبد الرحمن، كالأخلاق الائتمانية والتخلق المؤيد، في سياق نقده للنزعة الدهرانية.
- تتجلى القيمة العلمية للدراسة في قدرتها على تجاوز التوصيف السطحي للأزمة، لتغوص في جذورها المعرفية والأنطولوجية، مما يوفر تشخيصاً دقيقاً للمنظومة القيمية للأمة العربية في مواجهة الهيمنة الحداثية.
- لا تكتفي الدراسة بالجانب النقدي، بل تستشرف سبل تجاوز الأزمة عبر تقديم رؤية إصلاحية تستمد مرجعيتها من البيان القرآني، مما يربط التنظير الفلسفي بمتطلبات النهوض الحضاري للأمة.
- يُسهم البحث في تيسير الولوج إلى الفكر التجديدي لطله عبد الرحمن، ويفتح آفاقاً بحثية جديدة أمام الباحثين في الدراسات الفلسفية المعاصرة، بما يُعين على بناء رؤية متماسكة لمواجهة التحديات الفكرية والقيمية الراهنة.

صعوبات الدراسة :

من أبرز الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث الطبيعة المعرفية المركبة للمشروع الفكري لطفه عبد الرحمن، لما يتسم به من عمق فلسفي وكثافة مفاهيمية وتعدد اصطلاحي. ففهم أطروحاته واستيعاب مقاصده الفكرية يقتضي الإلمام بمنظومته المفاهيمية وأسسها المنهجية والمعرفية، الأمر الذي جعل قراءة نصوصه وتحليلها عملية تتطلب جهداً مضاعفاً ودقة في التأويل.

كما زادت من هذه الصعوبة خصوصية أسلوبه الفكري وتعدد الحقول المعرفية التي يستند إليها، مما أدى إلى تباين القراءات النقدية لفكره وإلى إحجام بعض الباحثين عن التعمق في دراسة مؤلفاته .

بالإضافة إلى صعوبات الشخصية منها التزامات مهنية وما يرتبط بها من مسؤولية، وبعد مقر العمل عن محل الإقامة بـ 50 كيلومتر هو ما أثر في الوقت المخصص للبحث والمطالعة، وحدّ من إمكانياتي في التعمق في بعض القضايا والإشكالات بالقدر الذي كانت أطمح إليه.

الفصل الأول : الخلفية الفكرية والفلسفية

تمهيد

يستعصي فهم المشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمن، أو تفكيك سؤال الأخلاق في منته الفلسفي، دون الغوص في خلفيته المعرفية ومنطلقاته التأسيسية التي تشكل بؤرة التحول في خطابه. فهذا المشروع ليس مجرد محاولة لإضافة رؤية أخلاقية للمدونة الفلسفية، بل هو مسعىً استراتيجي لإحداث قطيعة معرفية مع التراث الفلسفي الغربي؛ ذاك الذي هيمن على العقل العربي طويلاً، فارضاً منظومة قيمية تقوم على الاستغناء عن الله والعقلانية التجريدية. في هذا الفصل، نسعى إلى استجلاء المرتكزات التي أطرت فكر طه عبد الرحمن، متتبعين مساره من تفكيك العقلانية الحداثية إلى استعادة المرجعيات التراثية الأصيلة. إننا هنا لا نسرد تاريخاً للفكر، بل نرصد التحدي الفلسفي الذي يطرحه طه: تحدي تأسيس عقلانية ائتمانية بديلة على أنقاض العقلانية الاستغنائية. لذا، سنتناول المباحث التالية بحثاً في الأصول المنهجية لنقد الحداثة لديه، وتحليلاً للمفاهيم الجوهرية التي أعاد نحتها — كالائتمانية، والعمل، والتزكية — كاشفين كيف تحولت هذه المفاهيم من مجرد أدوات نقدية إلى لبناتٍ بنائيةٍ لمشروع متكامل.

إن غايتنا من هذا الفصل هي إدخال القارئ إلى المختبر الفكري الذي اشتغل فيه طه عبد الرحمن، ليتهاياً لاستيعاب أطروحته في الفصول اللاحقة؛ مدركين أن سؤال الأخلاق عنده لا يقتصر على كونه بحثاً في القيم، بل هو سؤال وجودي يمسّ مصير الإنسان المعاصر في عالمٍ فقد فيه بوصلة الاستخلاف.

الفصل الأول : الخلفية الفكرية والفلسفية

1- المفاهيم والتصورات:

1-1 مفهوم الأخلاق:

تتأسس مادة (خ ل ق) في اللسان العربي على دلالات جوهرية تجمع بين التقدير، والإنشاء، والسجية. وتُشير المعاجم العربية إلى وجود فرق دقيق بين "الخُلُق" (بفتح الخاء) الذي يرتبط بالهيئة الظاهرة والجسد، وبين "الخُلُق" (بضم الخاء واللام) الذي يرتبط بالهيئة الباطنة، أي طبائع النفس وسجاياها الراسخة التي تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر دون حاجة إلى تكلفٍ أو ترؤٍّ مستمر⁽¹⁾.

وهكذا، فإن الأخلاق في معناها اللغوي هي "ملكة" نفسية مستقرة، وليست مجرد تصرفات عارضة أو مواقف متغيرة. كما يرتبط المفهوم لغةً بمعنى "التقدير"، فالله "الخالق" هو الذي قَدَّر الأشياء على هيئتها الموزونة، ومن هذا الباب، تُعد الأخلاق ميزاناً يقَدِّر به الإنسانُ أفعاله، ليبليغ بها حالاً من الاعتدال والاستقامة. فضلاً عن ذلك، استعمل العرب لفظ الخُلُق للدلالة على الدين والمروءة، مما يربط الأخلاق اتصالاً مباشراً بنهج الاستقامة الذي يلتزم به الفرد في حياته⁽²⁾.

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلق)، دار صادر، (د.ط.)، بيروت، ، د.ت، مجلد 2، ص 156.

2 - الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، دار الصحابة، ط1، 1987، ص 54.

تُعرّف الأخلاق في الفكر الإنساني العام بأنها منظومة من القيم والمبادئ والمعايير التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات، وتحدد حدود الصواب والخطأ والخير والشر. وهي لا تقتصر على كونها قواعد جامدة، بل تمثل بوصلة توجّه الإرادة الإنسانية نحو غايات معينة، كتحقيق كمال الذات، أو ضمان استقرار العيش المشترك، أو الامتثال لمرجعية متعالية. وبذلك، تشكل الأخلاق النسيج القيمي الذي يربط أفراد المجتمع ببعضهم، وتنتقل من حيز "السلوك الفردي" إلى حيز "النظام الاجتماعي" الذي يضمن تماسك الجماعة وتفاعلها وفق مرجعية مقبولة إنسانياً. (1)

وتتقاطع هذه المنظومة الأخلاقية مع البعدين النفسي والقانوني في آنٍ واحد؛ فمن جهة، تدرس الأخلاق "الأخلاق" أو الصفات الراسخة في النفس التي تحرك الإنسان نحو الفعل، ومن جهة أخرى، تتميز عن القانون في كونها إلزاماً داخلياً نابعاً من الضمير والمسؤولية الذاتية، لا إلزاماً خارجياً تفرضه العقوبة أو السلطة. لذا، عُدّت الأخلاق عبر التاريخ الفلسفي بمثابة "فلسفة عملية" تهدف إلى تحويل الفكرة إلى واقع، والاعتقاد إلى ممارسة ملموسة تُقوّم حياة الفرد والمجتمع. (2)

على الرغم من أهمية هذه المقاربات في تحديد المفهوم العام للأخلاق، إلا أن طه عبد الرحمن يرى أن الأخلاق في الحداثة المعاصرة قد أصابها "الانفصال" عن أصلها الروحي،

1 - زكريا إبراهيم، مشكلة الأخلاق، مكتبة مصر، (ب ط)، القاهرة، 1978، ص 18.

2 - إميل دوركايم، التربية الأخلاقية، ترجمة: السيد محمد بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1982، ص 42.

وتحولت إلى أخلاق وضعية نسبية. وانطلاقاً من هذا النقد، يعيد طه بناء المفهوم عبر ما يسميه "الأخلاق الائتمانية". فإذا كانت الأخلاق العامة تعتمد على العقل المجرد، فإن الأخلاق عند طه تتأسس على استخلاف الله للإنسان، لتصبح الأمانة هي المحرك الأول لكل فعل أخلاقي. وبذلك، لا يكتفي طه بالتعريف العام، بل يربط المفهوم "بمبدأ التزكية" و"سؤال العمل"، محولاً الأخلاق من مجرد "قيمة نظرية" إلى "واقع وجودي" يتجسد في سلوك الفرد المؤمن. (1)

2-1 مفهوم الحداثة وتحولاته الفلسفية:

الحداثة في اللغة العربية تدور حول مادة (حَدَثَ)، وهي المادة التي تشير بمعناها العام إلى "الوقوع" و"الحدوث"؛ فحدث الشيء يحدث حدثاً وحداثاً، فهو مُحدثٌ وحديثٌ. ويُستشف من المتون المعجمية القديمة أن هذا الجذر اللغوي يحمل في طياته دلالة الوجود بعد العدم، حيث يُقال أحدث الشيء أي أوجده بعد أن لم يكن، والمُحدث هو كل ما استجد من الأشياء واتسم بالجدة (2).

وهنا يظهر "الحدوث" بوصفه النقيض الوجودي والمفهومي للقدم، وهو ما يعكس صيرورة التحول من حالة السكون أو الماضي إلى حالة الوجود الفعلي والآني؛ ومنه استعمل لفظ "استحدث" للدلالة على طلب الجدة أو إيجاد الشيء في زمنه الحاضر، وتواتر في لسان

1 - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2000، ص 45.

2 - ابن منظور، لسان العرب، مجلد 2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955، ص 131.

العرب الجمع بين المتقابلات في قولهم "ما قَدُم وما حَدَث" لتوصيف ثنائية الزمن والوجود (1).

وتتفرع عن هذا الأصل اللغوي دلالات اجتماعية وزمنية دقيقة، حيث يُستعمل لفظ "حادثة السن" لتوصيف مرحلة الشباب والفتوة، فيقال رجل حَدَث السن أو حديثها، والجمع أحداث، وهو ما يربط مفهوم الحادثة لغوياً بالطاقة والانطلاق والبداية الزمنية الجديدة (2). وعلاوة على ذلك، يتصل المصطلح بمفهوم "الحديث" الذي يُطلق على الخبر الجديد والمنقول، وجمعه أحاديث، مما يؤكد أن جوهر الحادثة في اللسان العربي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بـ "الجدّة" و"الظهور" والانقطاع عن القديم عبر فعل الإحداث والتجديد المستمر (3).

أما بالانتقال إلى السياق اللساني الغربي، فإن لفظ الحادثة في اللغة الفرنسية (Modernité) يستمد أصوله من الكلمة اللاتينية (Modernus) وهي المفردة التي بدأت في الظهور التدريجي منذ القرن السادس الميلادي لتمييز الحاضر المسيحي عن الماضي الوثني، إلا أن استحضارها المكثف بدأ فعلياً منذ القرن العاشر الميلادي، لاسيما في خضم المساجلات والسجلات الفلسفية والدينية الكبرى. وقد اقترنت الحادثة في هذا الفضاء اللغوي بمعاني الانفتاح الذهني والحرية الفكرية، حيث أصبحت تدل على القدرة على استيعاب أحداث

1 - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج 3، ص 252.

2 - المرجع نفسه، ص 253.

3 - جمال شحيد ووليد قصاب، خطاب الحادثة في الأدب: الأصول والمرجعية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2005، ص 5.

الوقائع ومواكبة مستجدات الأفكار، مما جعلها مرادفاً لليقظة العقلية ونبذ الركود والكسل الذهني (1).

لا يمكن اختزال المفهوم الإصطلاحي للحادثة في كونها مجرد مقولة معاصرة أو توصيف سياسي أو فكري أو حتى مجرد حقبة تاريخية محددة، بل هي في جوهرها نمط حضاري فريد وصيغة بنيوية متميزة تعيد صياغة الوجود الإنساني؛ فهي تنهض أساساً على تضاد جذري مع منظومة التقليد وكافة الأنماط الثقافية التي سبقتها. وأمام ذلك التعدد الجغرافي والتباين الرمزي الذي وسم الثقافات الماضية، تفرض الحادثة نفسها كبنية متجانسة وذات نزعة عالمية تنتبثق من المركزية الغربية لتتشع على بقية العالم، حاملةً في طياتها تحولاً جذرياً في الذهنية البشرية وصيرورة تطويرية شاملة تعيد تعريف علاقة الإنسان بالكون والزمان (2).

وعلى هذا الأساس، تجلى الحادثة كفعل ثوري يرفض الانصياع لسلطة الموروث أو الانحباس في شرنقة التراث، وهو ما يؤكد الفيلسوف "يورغن هابرماس" حين يرى أن الحادثة

1 - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، مجلد 2، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط2، 2001، ص 822.

2 - جون بودريار، نقلاً عن: فارح مسرحي، الحادثة في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص 25.

هي التعبير الأسمى عن وعي العصر بذاته، وقدرته على تعريف كينونته من خلال فعل الانتقال المفصلي من دائرة القديم إلى رحاب الحديث (1).

فبينما يضطلع التقليد بمهمة المحافظة على التراكمات الماضية وتكريس السائد وإضفاء القداسة على النماذج المستقرة، تندفع الحداثة نحو التأسيس للجديد المطلق وتبني التغيير الجذري كغاية أسمى، ساعيةً نحو التقدم دون الارتهان لمكونات الماضي أو قيوده التاريخية. وهكذا تتشكل الحداثة كمشروع اجتماعي جذري يتسم بالشمولية والانفتاح، ويهدف إلى إحداث طفرات تقدمية متلاحقة في كافة قطاعات الوجود البشري، وإن تفاوتت وتيرة هذا التقدم بين حقل وآخر (2).

وفي سياق تشريح هذه الظاهرة، يطرح "محمد عابد الجابري" رؤية نقدية تتجاوز التصورات النمطية حول الحداثة المطلقة أو الكونية الواحدة، إذ يذهب إلى أن الحداثة هي في حقيقتها ظاهرة تاريخية نسبية تخضع لشرط الزمان والمكان، وتتشكل وفق حدود جمالية وصيرورات تطويرية متباينة. وهذا ما يجعل مصطلح الحداثة مرتبطاً بوضعيته الراهنة وسياقه الحضاري الخاص، حيث يراها الجابري "نزوعاً ورسالة" تهدف إلى تحقيق فعل التحديث

1 - فارح مسرح، الحداثة في فكر محمد أركون، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط 5، 2226، ص 22.

2 - مصطفى خلال، الحداثة ونقد الأدلوجة الأصولية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص 73.

الشامل، لا سيما على مستوى تحديث البنى الذهنية وإعادة صياغة المعايير العقلية والوجدانية التي تحكم الوعي الإنساني (1).

إن هذا التصور الإصطلاحي ينقل الحداثة من مجرد استيراد للنماذج الجاهزة إلى كونها عملية تحديث داخلي للآليات المعرفية للأمة (2). وعلى صعيد متصل، يقدم "حسن حنفي" مقارنة لمفهوم مصطلح الحداثة تربط بين الحداثة والقدرة على التجدد ومواكبة أساليب العصر، محذراً من حصر هذا المفهوم في الفضاء الغربي وحده؛ فالحداثة عنده لا تعني "التغريب" بالضرورة، بل تعكس مدى قدرة التراث الأصيل على إعادة إنتاج ذاته والعمل بفعالية وفقاً لمتطلبات العصر وظروفه المتغيرة (3).

وبذلك أصبح مفهوم الحداثة عبارة عن رؤية كونية جديدة تُحدث قطيعة إبستمولوجية مع سلطة الماضي، وتُستعمل كمفهوم يعبر عن حقبة قائمة بذاتها هي "الأزمة الحديثة"، وهي تسمية لا تشير إلى الزمن فحسب، بل تحمل دلالة الانفتاح المطلق على المستقبل والجاهزية الدائمة لاستقبال الجديد والآتي (4).

1 - محمد برادة، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، ع4، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1984، ص

2 - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات وتحليلات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص 18.

3 - حسن حنفي، الجابري: حوار المشرق والمغرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص 71.

4 - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المرجع السابق، ص 18.

3-1 مفاهيم عامة :

- الائتماني:

الفرد الذي يقول ب الوحدة الأصلية بين الدين» و«السياسة» (أو على الوجه الأدق التعبد» و «التدبير)، وتختص هذه الوحدة بكونها سبقت إجراءات الفصل والوصل بين هذين الطرفين، بحيث لا يصح الكلام بصددها عن الحدود بين ما هو تعبدى وبين ما هو سياسي. (1)

- الدياني:

الفرد الذي يقوب بالوصل بين الدين والسياسة مع اختلاف بين الديانيين في وجوه هذا الوصل.

- التدين: دمج السياسة بالدين

- الروح: أمر خفي من وراء النفس يزعجها إلى الخير، ويصل صاحبها بالعالم الغيبي متى دخل في أعمال التزكية وحفظ حقوق الأمانات. (2)

- التزكية : الإتيان بالعمل الذي يرفع غطاء النفس عن الروح، ويحقق الاتصال بالعالم الغيبي (ضدها التسيد).

- التسيد: ممارسة الذات للسيادة على الخلق (ضده التعبد)

- التسييس: دمج الدين في السياسة

1 - روح الدين ص 509.

2 - روح الدين 510.

- **التعاقل:** العقل الحاصل بواسطة التواصل والتفاعل

- **العلماني:** الفرد الذي يقول بالفصل بين الدين والسياسة، مع اختلاف بين العلمانيين في وجوه النظر إلى الدين.

- **النفس:** (الأنا) من حيث إنها تختص بنسبة الأشياء إليها، فلا نفس بغير نسبة ذاتية⁽¹⁾.

2- جذور الحداثة الغربية وإرهاصات وأسابغ ظهورها

لما الغرب أخذ موقف عدائي من الدين فبحث المفكر والمتقف الغربي عن مرجعية بديلة ليحقق بها غاياته البراغمية والخروج من المألوف والموروث المقلد سماويا كان أو من نتاج الفكر البشري، فالحداثة الغربية لم تكن سوى فصل مفصلي في مسيرة صراع انتصرت فيه ثورة العقل عن اللاهوت.

وبذلك لا يمكننا أن نتكلم عن الحداثة الغربية إلا إذا تتبعنا الإرهاصات التي ساهمت في ظهورها وهي عبارة عن مسار تاريخي تراكمي ومتشابك لعدة أحداث بخلاف عوامل التغير والقطيعة داخل البيئة الاجتماعية وقد لامس ذلك جميع جوانب الحياة، منها النهضة الأوروبية، الإصلاح الديني (مارتن لوتر)، كذلك الثورة العلمية وظهور نموذج جديد للمعرفة قائم على الملاحظة والتجربة، وهو المنهج العلمي ما أسقط السلطة المعرفية للكنيسة، وفي الجانب الاقتصادي صعود البرجوازية والتحويلات في مفهوم الملكية والعمل. كذلك هو الأمر بالنسبة للجانب السياسي كالثورة الانجليزية وما أرسته من مبدأ الملكية وسيادة القانون، الفلسفة العقلية (المثالية) والنسق المغلق، والثورة الأمريكية والفرنسية وحركة التنوير و الثورة

1 - روح الدين ص 513.

الصناعية التي حولت البنية الاجتماعية من زراعية إلى صناعية حضارية بذلك أوجدت الأجر و تقسيم العمل و اغتراب العامل مما استدعى إلى وجود أنظمة فكرية جديدة كالاشتراكية والليبرالية .

و انتقلت الحداثة بالفكر من مستوى ابستيمي إلى مستوى ابستيمي آخر جديد لم يبقى مفهوم الحداثة حبيس بيئته بل انتقل إلى بيئات فكرية وثقافية أخرى منها البيئة الفكرية العربية الإسلامية حيث وجد صدى واسعا في أدبيات الخطاب الفلسفي العربي.¹

لقد تباينت المواقف إزاء مستقبل الحداثة الغربية وبين معارض وناقد ومتحفظ لتداعياتها الأخلاقية ومن بين أبرز هؤلاء طه عبد الرحمن الذي ساهم بمشروع فلسفي متميز يعد إضافة نوعية للفهم العربي وقد شكلت قراءته للحداثة الغربية مشروعا نقديا كشف فيه هشاشة مرتكزاتها وما أفرزته من أزمات كما مثلت منطلقا لبناء فضاء فلسفي عربي إسلامي مستقل ومبدع يضاهي في منهجه الفضاء الفلسفي الغربي.²

إن كل مفكر ابن بيئته يشكل وعيه من رحم مجتمعه وأزماته ويسعى إلى تجاوز واقعه نحو حضارة متقدمة، في ظل الاستعمار وما خلفه من تخلف وتفكك برزت نخبة مثقفة تدرجت من المدارس البسيطة إلى الجامعات الغربية فاستوعبت الحداثة الغربية بأبعادها الفكرية والاجتماعية والسياسية، وقد عاد هؤلاء بمشاعر مزدوجة بما بلغه الغرب من تقدم وحسرة على أمة كانت يوما في طليعة العالم مما ولد لديهم دافعا للإصلاح والنهوض خاصة

1- بوزيرة عبد السلام، طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، جداول لنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2011، ص

12.

2- بوزيرة عبد السلام، طه عبد الرحمن، ص13.

أن الأمة الإسلامية تمتلك مقومات التقدم من لغة ودين وتاريخ وثروات بشرية وطبيعية مما تمكنها من تأسيس حضارة ونهضة إسلامية ذات نشأة ذاتية مستقلة ومتحررة من التبعية وذات طابع يمزج بين أصالة التقليد والموروث الديني وبين معاصرة التجديد، وعلى رأس هؤلاء الدكتور عبد الرحمن الذي عمل جاهداً على استعادة الهوية العربية الإسلامية الضائعة ومناديا بحداثة جديدة وأصيلة في آن واحد .

3- البيئة التكوينية للفيلسوف طه عبد الرحمن : المناابت والمسالك والأفق الفكري

ولد الدكتور طه عبد الرحمن عام 1944م بالمدينة الجديدة، تلك المدينة الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي جنوبي الدار البيضاء بالمغرب، ولم تكن البيئة التي نشأ فيها بيئة عادية، إذ كانت مشبعة بالنفس الصوفي والموروث الإسلامي العريق، فقد تلقى تعليمه الأول على يدي والده، حافظاً في صدره القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمتون الفقهية وأصول النحو كالأجرومية، فكان ذلك البذر الأول الذي شق جذوره عميقاً في وجدانه، ولم يزل ظاهر الأثر في مسيرته الفكرية والروحية حتى اليوم .

بعد إتمام مرحلة البكالوريا درس بجامعة محمد الخامس، عبر طه عبد الرحمن البحر المتوسط نحو فرنسا، ملتحقاً بجامعة السوربون بفرنسا، تلك الصرح الفلسفي الذي صنع كبار مفكري الغرب الحديث.

حيث حصل عام 1972م على درجة الدكتوراه برسائلته الموسومة بـ "البنيات اللغوية في مبحث الوجود"، وهي رسالة تكشف منذ بواكيرها عن اهتمامه المزدوج باللغة والفلسفة معاً.

ثم عاد إلى وطنه ليُعيّن أستاذاً للمنطق وفلسفة اللغة في جامعة محمد الخامس بالرباط، غير أن مسيرته الأكاديمية لم تتوقف عند هذا الحد، بل توجّها عام 1985م بنيل دكتوراه الدولة عن أطروحته الرصينة "في الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه"، التي أسس فيها لمنهج حجاجي أصيل في تحليل الخطاب والاستدلال.

واصل عطاءه الجامعي حتى إحالته على التقاعد عام 2005م كما اضطلع بعضوية الجمعية العالمية للدراسات الحجاجية، شاهداً على حضوره في الفضاء الفكري الدولي. ويُتقن إلى جانب العربية لغاتٍ عدة هي الفرنسية والإنجليزية والألمانية واللاتينية واليونانية القديمة، مما أتاح له الإفادة المباشرة للفلسفة العربية في مصادرها الأصلية.⁽¹⁾

لا يمكن فهم المشروع الفلسفي لطفه عبد الرحمن بمعزل عن الصدمة الحضارية التي مثلتها نكسة يونيو 1967م، إذ أفضت الهزيمة العسكرية العربية أمام إسرائيل إلى زلزال وجداني عميق في نفسه، فقد راح يتساءل بمرارة الفيلسوف لا بعاطفة العاطفة: لماذا عجزت أمة ذات حضارة راسخة عن صون كيائها في مواجهة كيان ناشئ؟ ولماذا أخفق العقل العربي في الجمع بين أبنائه وتوحيد إرادتهم؟ فكانت تلك التساؤلات المحرقة هي التي دفعته إلى التعمق في الفلسفة والمنطق، بوصفهما أدوات لتشخيص أعطاب العقل العربي وإعادة بناء مناعته الفكرية.⁽²⁾

1- شريط وثائقي خاص بالدكتور "طفه عبد الرحمن" مع قناة الجزيرة الفضائية، بتاريخ 15-06-2017.
2- شريط وثائقي خاص بالدكتور "طفه عبد الرحمن" مع قناة الجزيرة الفضائية، بتاريخ 15-06-2017..

يُفصح طه عبد الرحمن عن أن منعطفاً روحياً فارقاً قد أعاد رسم خريطة وجوده الداخلي، حين انتقل من الاشتغال الفلسفي الصرف إلى الانخراط في التجربة الروحية الحية. وقد تجلّى ذلك في ارتباطه بسيدي حمزة بن العباس شيخ الطريقة القادرية البودشيشية بالمغرب، الذي رأى فيه طه مرشداً روحياً أعانه على التخلص من الأخلاق الفاسدة وتصفية الأحوال الداخلية، فردّ إليه الفضل في استجلاء المعارف الحقيقية وتعميق الصلة بالله.

وبهذا التحول لم يتخلّ عن الفلسفة، بل حوّلها من غاية إلى وسيلة، ومن تأمل مجرد إلى خدمة الذات الإلهية والإسهام في تجديد الإنسان من داخله. (1)

يسعى طه عبد الرحمن من خلال مؤلفاته إلى بناء رؤية فلسفية جامعة بين الصرامة المنهجية والروح الإسلامية في مواجهة ما يعتبره استعماراً فكرياً أخطر من الاستعمار المادي.

فقد انتقد بحدة نقل الحداثة الغربية إلى العالم العربي، لا لرفض الحداثة في ذاتها، بل لأن هذا النقل جاء آلياً مبتوراً، ينقل أشكال الأشياء دون روحها، وقشورها دون لبابها، مما أفضى في نظره إلى انسداد في العقل وانقباض في الأخلاق وانتكاسة في مسيرة الأمة. (2)

وقد أمطر الحداثيين العرب بنقد لاذع، واصفاً إياهم بالمقلدين العاجزين عن الإبداع الحضاري الأصيل، وتتوزع هذه الرؤية على جملة من مؤلفاته المحورية، أبرزها :

1- العمل الديني وتجديد العقل

1- منصة الدكتور محمد العوضي ، لقاء مع الدكتور "طه عبدالرحمن"

2- لقاء مع الدكتور "طه عبدالرحمن" -منصة الدكتور محمد العوضي ،موضوع الحصة : صراحتي بأيماني أثارت العلمانيين

- 2- روح الحداثة : المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية.
- 3- روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية.
- 4- سؤال الأخلاق : مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية.
- 5- بؤس الدهرانية: في النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين
- 6- كتاب اللغة والفلسفة، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة طه عبد الرحمن .
- 4- الحداثة الغربية وإشكالية القيم مقارنة نقدية من منظور د طه عبد الرحمن :

يرى الدكتور طه عبد الرحمن أن المفكرون العرب تأثروا بالحداثة الغربية لحد التقليد الأعمى وإتباع مناهجهم دون مراعاة للجانب الديني ولا حتى الطابع الاجتماعي العربي من تقاليد وعرف، وبذلك لم يوفقوا بين الفلسفة الغربية والإسلام بل أخذوا يتلقفون قضاياها تلقفاً أشبه باللحم منه بالتلقي¹، وقد بلغ تعلقهم بالحداثة الغربية أن توهموا أنها واقع لا يزول وحتمية لا تحول وأنها نافعة لا ضرر فيها و كاملة لا نقص فيها⁽²⁾ .

وقد قسم طه عبد الرحمن المقلدين إلى فئتين مقلدة المتقدمين يتعاطون إسقاط المفاهيم الإسلامية التقليدية على المفاهيم الغربية الحديثة كأن اسقطوا مفهوم الشورى على مفهوم الديمقراطية ومفهوم الدولة على مفهوم الأمة و مفهوم الربا على مفهوم الفائدة وهكذا يردون المفاهيم المنقولة الى مفاهيم مأسولة⁽³⁾، أما المقلدة المتأخرون فيتعاطون إسقاط المفاهيم

1- كتاب بؤس الدهرانية طه عبد الرحمن ص 20.

2- كتاب روح الحداثة ص 15.

3- روح الحداثة ص 11.

الغربية المنقولة الى مفاهيم إسلامية مأسولة كمفهوم العلمانية على مفهوم العلم بالدنيا و مفهوم الحرب الدينية على مفهوم الفتح⁽¹⁾.

فالمحدثون المقلدين انغمسوا وانبهروا بالحدائثة الغربية حد الافتتان كمثل الحدائثيون الغرب الذين افتتوا بالعقل حد التأليه وتأليههم للعلم وقد أصبحت الحدائثة الغربية حضارة عقلية لا فاعلية وعظمت مركزية العقل وأصبح العقل هو المرجعية والقومية التي بنى عليها الغرب كل أسس معارفهم وعلومهم وقوانينهم.

وتتمثل نظرتة النقدية والاعتراضية للفكر الغربي الحديث وللمقلدين في عدة توجهات ومجالات نستعرض بعض منها :

الحدائثة الغربية أساس مشروعها هو العقل والعقلانية لا تؤمن إلا بما يدركه العقل فقط فهو متحرر من كل سلطان وبذلك فمعيار أهل الحدائثة هو العقل.

ومن المعلوم على أن طه عبد الرحمن من الفلاسفة الذين صنعوا لأنفسهم مصطلحات خاصة بهم ومستحدثة فنجده يسمي ويصف العقلانية في الفكر الحديث بالعقلانية المجردة ويقصد بذلك العقل المفصول عن القيم ذلك الكيان المجرد من كل وجدانية وروحانية الذي يقتصر على الجانب النظري الصرف دون مراعاة للأخلاق ولا الإيمان ولا حتى الشعور الداخلي للإنسان وهو عقل مبتور يرى ولا يشعر يحل ولا يقوم وعلى هذا الأساس ينقد المصدر هذا العقل المجرد ويعيد تحديد الماهية العقلية التي اتصف بها الإنسان وتميز بها دون غيره من الكائنات الأخرى ففي البداية قال :طه عبد الرحمن بتعدد العقول بأن العقلانية

1- روح الحدائثة ص12.

متعددة ومتفاوتة في مبادئها وتتفاضل في غاياتها ومقاصدها، وبأن قوة العقل من جنس الإدراك وهذه ميزة يشترك فيها الإنسان مع البهيمة، ويفسر ذلك بأن البهيمة لا تهتدي إلى الصواب إلا بعد محاولات متتالية من الخطأ وهو كذلك فعل الإنسان لهذا فإن العقل ليس بملكة تميز الصواب من الخطأ، ومن واجبنا أن نحدد الفاصل بين الإنسان و البهيمة في تحديد سلوكه وأفعاله والارتقاء بأفعال لا يقع الشك في نفعها أو ضررها، وبهذا يصل إلى مبدأ الصلاح⁽¹⁾

ما يسميه المصدر الأخلاق، وقد وصل بهذا الى وضع معايير ثلاث يحتكم إليها في تقييم أي تعريف للعقلانية، فمعيار الفاعلية يحقق الإنسان فيه ذاته من خلال أفعاله المتنوعة في وسائلها وظروفها وبواعثها، وهذه الأفعال هي التي تشكل هويته وسلوكه، أما معيار التقويم الإنسان فيه لا يكتفي بما هو كائن بل يتطلع دائما نحو ما ينبغي أن يكون مدفوعا بقيم تحته على السعي نحو الكمال والارتقاء من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها، ومعيار التكامل يكون فيه الإنسان كيان واحد متكامل لا مجموعة أجزاء منفصلة تجتمع فيه العقل والوجدان و الروح والجسد والنظر والعمل ولا يصح عزل بعضها عن بعض⁽²⁾.

لهذا نادى المصدر بالعقل المسدد والعقل لمؤيد، فالعقل المسدد عنده يتأسس على ركيزتين العقل الموجه بنور الوحي من جهة والمقاصد النافعة التي تشكل غاية الفعل الأخلاقي من جهة أخرى، فالعقل وحده لا يكفي ما لم تكن مقاصده سليمة ونافعة، كما أن

1- كتاب سؤال الاخلاق ص 14.

2- سؤال الأخلاق ص 62.

المقاصد لا تتحقق على وجهها الأكمل إلا بعقل مسدد يميز بين النافع و الضار, وبين الصادق والمتظاهر, ومن هنا تبرز الحاجة إلى دراسة العلاقة بين تسديد العقل وصحة المقاصد و الآفات التي تعترض المتخلق في مساره نحو الفعل الأخلاقي القويم والعقلانية المسددة تصبو إلى تحصيل النفع في المقاصد, والمقاصد الدينية الثابتة و الشاملة هي أنفع المقاصد لأنها لا تجلب الضرر ولا تتوي على مكر أو استدراج, والعقل المسدد هو الذي يهتدي إدراك هذه المقاصد النافعة, بعد أن تجاوز مرتبة التجريد ويسلم من الجوانب غير المأمونة.

ومن آفات الوقوف عند المقاصد يواجه المتخلق آفتين, آفة التظاهر و هي الفجوة بين ظاهر الفعل وحقيقة القصد وتشمل التكلف والتزلف والتصرف بدافع العجب والغرور, و آفة التقليد وهي العمل بقول الغير دون دليل عملي يثبت فائدته⁽¹⁾.

يصبو الدكتور طه عبد الرحمن في فكره دائماً إلى الأسمى والأرقى فمن العقلانية المسددة صعد إلى العقلانية المؤيدة والتي تمثل درجة أعلى و أرسخ إذ لا يكتفي العقل فيها بالتوجيه والتسديد, بل يبلغ مرتبة التأيد الإلهي الذي يضفي على الوسائل نجاعتها الحقيقية, فالوسيلة الناجعة ليست تلك التي تحقق النتيجة المادية فحسب, بل هي التي تجمع بين الفعل والسلوك و معرفة الله في آن واحد, فتنبثق من أعماق التخلق الديني لا من مجرد الاعتراف التقني ومن هنا يتضح أن النجوع الحضاري الحقيقي لا يبنى على العقل المجرد وحده بل يستمد جذوره من روحانية الفعل وصدق التوجه نحو الله, وتتحقق العقلانية المؤيدة بشروط

1- كتاب سؤال الأخلاق ص 70.

لتحصيل النجوع في الوسائل وهي: الجمع بين المقال والسلوك: أن تنتقل المعرفة من مستوى التمييز النظري إلى مستوى التلبس الفعلي.

– الجمع بين معرفة الموضوع ومعرفة الله: إذ المعرفة العلمية بالوسائل تفتح باب الاهتداء إلى الله.

– الاستعداد للزيادة الدائمة: أن يكون المتخلق منفتحاً على الزيادة، فلا تحيد معرفته عن جادة العقول.

آثار تحصيل النجوع في الوسائل في العقلانية المؤيدة يخرج معنى التمييز إلى تلقي الخطاب، ومعنى الإنزال إلى تحمل الرؤية أي تلقي الخطاب إدراك أن الحق يخاطب في كل شيء وأن نصوص الخطاب محفورة في الأكوان، وتحمل الرؤية رؤية أفعاله دائماً بعين الرضا ومراقبة النفس باستمرار كما يخرج معنى الطاعة في العبادة إلى الاشتغال بالله، ومعنى الطاعة في المعاملة إلى التعامل في الله لصالح الجميع⁽¹⁾.

تقوم الحداثة الغربية على القول لا الفعل، إذ أفرز الطوفان اللفظي وهم الموضوعية وزاد الهوة بين الكلام والعمل. وتكشف عن ذلك مسميات شتى تحمل كلها دلالة واحدة، من قبيل: ثورة الاتصال، وانعتاق الكلمة، وسيادة القلم، وسلطان العقل، وتداول المعرفة، وعولمة الإعلام، وانفجار المعلومات كلها شواهد على حضارة أتقنت فن الخطاب وأخفقت في ميدان العمل⁽²⁾.

1- كتاب سؤال الأخلاق ص 76

2- كتاب سؤال الأخلاق ص 77.

5-المضار الخلقية للحضارة القولية :

من أبرز ظلم الحداثة للإنسان أنها آثرت القول على الفعل، فجعلت الجانب النطقي يطغى على الجانب السلوكي، مما أفضى إلى أضرار أخلاقية جسيمة، أبرزها:

أ- آفة التضيق :

يقصد بها في فكر طه عبد الرحمن قصور العقل المسلم عن استيعاب النص الديني نتيجة حصر فهمه في المعاني القانونية و الأمرية الظاهرة واستبعاد أبعاده الروحية، ومصادر الحكمة، والعمل التركوي.

تقلّصت الأخلاق وضاق أفقها حين اقتحم القولُ النظريُّ ميدانَ الفعل، فصار يُحتجّ بأن لا أخلاق في المنطق ولا في المعرفة. وبهذا انسحبت الأخلاق من ساحتي البرهان العقلي والسلطان العلمي معاً، فلم يبق لها إلا هامش ضيق، قليل الكمّ ضعيف الأثر.⁽¹⁾

ب- آفة التجريد :

لم تكتفِ حضارة القول بتضييق الأخلاق، بل جمّدها وأقصتها عن الحياة العامة بحجة أنها شأن فردي لا دور له في تنظيم المجتمع أو تحقيق المصلحة العامة.

وعلى هذا الأساس أُحلَّ القانونُ محلَّ الأخلاق في ضبط العلاقات بين الناس، وأُسند إلى الخطاب الاجتماعي توجيه المصالح المشتركة، فأقصيت الأخلاق من أهم ميادينها.

والنتيجة أن الأخلاق تحوّلت إلى طقوس شخصية جامدة عاجزة عن التأثير في

العلاقات الإنسانية، فغدت أفعالاً ميتة لا حياة فيها ولا أثر.⁽²⁾

1- كتاب سؤال الأخلاق ص 78.

ج- آفة التقليص:

مفهوم نقدي عميق صاغه الفيلسوف طه عبد الرحمن ويشير إلى ميل الحداثة الغربية والفكر العلماني إلى تجديد الإنسان من أبعاده الروحية والغيبية وقصره على بعد واحد مادي ونفعي بحت مما يؤدي إلى بؤس الإنسان وفقده لمعناه الحقيقي.

لم يقف ضرر حضارة القول عند تضيق الأخلاق وتجميدها، بل تجاوز ذلك إلى تشويه حقيقتها وقلب مفهومها، وذلك من وجهين:

أولاً: رسّخت الحداثة في الأذهان أن الأخلاق دليلٌ ضعف لا قوة، في حين أن غايتها الأصلية هي تقوية الروح والدفع نحو العمل.

ثانياً: أخلّت الخطاب السياسي محل الفعل الأخلاقي، مدّعيةً أنه أقدر على إشعال الإرادة وتحريك الهمم. غير أن السياسة في جوهرها لا تعدو طلب السلطة والنفوذ، بينما الأخلاق تسعى إلى تزكية الوجدان وتهذيبه.

والنتيجة أن القول السياسي استبدل الفعل الأخلاقي بنقيضه، فسقطت الأخلاق من نفوس الناس حتى بات مجرد الحديث عنها ضرباً من الحرج والسخرية.⁽¹⁾

6-نقد العقلانية العلمية للحداثة:

يخضع مفكر عقلانية الغربية لنقد جذري ومعرفي مزدوج يرفض استيراد النموذج الغربي الأعمى ويدعوا إلى التمييز بين روح الحداثة أي القيم الإنسانية الكونية كالاستقلالية

2- كتاب سؤال الأخلاق ص 78.

1- كتاب سؤال الأخلاق ص 79.

والنقد، وواقع الحداثة أي التطبيق الغربي المادي المفصول عن الأخلاق مؤسساً لمشروع

الحداثة الإسلامية المرتكزة على الإيمان والقيم الأخلاقية

يرى طه عبد الرحمن أن المنهج العلمي الحداثي رغم ما حققه من تقدم ملحوظ في

دراسة الطبيعة وتجاوزه للفلسفة القديمة والتصورات اللاهوتية، يظل منهجاً قاصراً، إذ أفرغ

الظواهر الطبيعية من قيمها الأخلاقية وأبعادها الإنسانية، مكتفياً بمبدأ الموضوعية القائم

على الملاحظة والتجربة واستخلاص العلاقات الكمية، دون أن يرقى إلى النجاعة المعرفية

الشاملة المطلوبة.⁽¹⁾

1-6 خصائص الإجراءات العلمية والصياغة التقنية :

تقوم على الشكل الصوري لا المضمون المادي، إذ يحل المتغير الصوري محل المادة

وتنتقل الموضوعات من حال إلى حال وفق إجراءات متدرجة ومنظمة. وينتج عن ذلك

قدرتان متكاملتان لدى الإنسان الحديث: الإمكان وهو أفق معرفي نظري جديد، والتمكن وهو

باب عملي تطبيقي للتغيير.⁽²⁾

- سيادات النظام العلمي - التقني وانفصاله عن الأخلاق الدينية :

- السيادات الثلاث :

سيادة التنبؤ (سلطان السطوة) :

1- كتاب سؤال الأخلاق ص 68.

2- كتاب سؤال الأخلاق ص 115.

ضبط الإمكان النظري وترتيب آفاقه، وتبين التمكّن العملي وأبعاده، وينتج عنهما قوة

السطوة، وتُسمى عقلانيته : عقلانية النظم .

سيادة التحكم (سلطان البأس) :

رفع الإمكان من الترتيب إلى التنسيق، والتمكّن من التبين إلى التطبيق، وينتج عنهما قوة

قوة البأس، وتُسمى عقلانيته : عقلانية التنظيم .

سيادة التصرف (سلطان البطش) :

بلوغ اتساق الإمكانيات ذاتياً وانطباق التمكّنات تلقائياً دون تدخل خارجي، وينتج عنهما قوة

البطش، وتُسمى عقلانيته : عقلانية الانتظام.⁽¹⁾

2-6 العولمة وإشكالاتها الأخلاقية في فلسفة طه عبد الرحمن:

تترأى العولمة في الفكر الطاهوي كآلة الجبارة التي أفرزتها الحداثة التقنية والتجارة

العالمية، فهي قوة تدور ما حولها، تبني وتدمر في آنٍ واحد، وتتخطى الحدود دون رادع،

وكأنها كيانٌ مُستقلٌ لا يملك أحدٌ زمام أمره. تتجلى هذه القوة في ثورة المعلومات والابتكار

التقني الذي لا يعترف بقدسية القيم، ولا بخصوصية الحضارات، ولا بجغرافيا الحدود، مما

يؤدي إلى نوبانٍ قسريٍ للفوارق بين الشعوب تحت راية العولمة الموحدة.

وقد لخصّ طه عبد الرحمن هذه الظاهرة في مفهوم "نظام السيطرة"؛ حيث لا تكتفي

العولمة بكونها تبادلاً تجارياً أو تقنياً، بل هي سلطة استلابية تفرض نمطاً واحداً للوجود

1- كتاب سؤال الأخلاق ص 117.

والوعي. إنها ليست مجرد تواصل بين البشر، بل هي إخضاع للعالم برمته لمنطق العقلانية الغربية الحصرية، التي تُحوّل الإنسان إلى كائنٍ استهلاكيٍّ فاقدٍ لخصوصيته الثقافية.

كآلة الجبّارة التي أفرزتها الثورة الصناعية والتجارة العالمية؛ تبني وتدمر في آنٍ واحد، تتخطى الحدود دون رادع، ولا أحد يملك زمامها. تتجلى في الثورة المعلوماتية والإبداع التقني الذي لا يعترف بقيم ولا حضارات ولا حدود، فتذوب الفوارق بين الشعوب وتتوحد. وقد لخصها طه عبد الرحمن في نظام السيطرة :

1. سيطرة الاقتصاد على التنمية حيث تفرض قوانين السوق الرأسمالي على جميع الشعوب.

2. التقنية على العلم مما يؤدي إلى استلاب الإنسان وتحوّله إلى كائنٍ مستهلك.

3. الشبكة على الاتصال بهدف تنميط الثقافة والعقول عالمياً (1).

تدّعي العقلانية الغربية الحديثة تطهير وسائلها من كل قيمة أو معنى ذاتي، فباتت المعاني الدينية والأخلاقية في نظرها عوائق تعطلّ العمل العلمي، فعمدت إلى استبدالها بقيم مادية لا دينية ولا أخلاقية. وقد أفضى ذلك إلى قصور منهجي عميق، إذ اكتفى العقل العلمي بظواهر الأشياء دون الوصول إلى حقائقها الباطنة. ولهذا يصف طه عبد الرحمن

1- كتاب طه عبد الرحمن نقد الحداثة بويصرة ص 182.

هذه العقلانية بأنها عقلانية التجريد، أي عقل مجرد من اليقين بنفع المقاصد، وهي بذلك مرتبة دنيا من مراتب العقلانية.⁽¹⁾

1- كتاب سؤال الأخلاق ص 67.

3-6 إفراغ الفعل الأخلاقي من محتواه القيمي:

تحوّلت الحياة إلى أرقام وحسابات جافة خلت من كل قيمة إنسانية، فامتألت البطون وفرغت القلوب وصدئت الأرواح. وقد انسلخ الفعل الأخلاقي من محتواه القيمي فغدت الأخلاق وصفاً لا وسماءً، وجُرد السلوك الإنساني من غايته السامية ليتحول إلى حركة ميكانيكية تقودها الدوافع النفعية والخوف من العقاب ونظرة المجتمع، فتنزلت الأفعال من أحكام الوجوب إلى مجرد أحكام الوجود.

أدركت الحداثة قوة الدين في استيعاب مجالات الحياة كافة وحفاظه على القيم الإنسانية، فعمدت إلى آلية الفصل والتفريق، فانترعت السياسة والعلم وسائر قطاعات الحياة من الدين، وتجلّى ذلك في ظاهرتي الدنيانية والدهرانية.

الدنيانية: هي المصطلح الجامع⁽¹⁾ الذي يصف مسار الحداثة في انتزاع قطاعات الحياة من الدين وفصلها عنه، سواء أكان ذلك في العلم أم السياسة أم القانون أم الفن أم الأخلاق، وتتعدد صورها بتعدد هذه الفصول، فالعلمانية بكسر العين فصل للعلم عن الدين، وبفتحها فصل للسياسة عنه، وهكذا في سائر المجالات.

الدهرانية⁽²⁾: هي الصورة الأشد خطراً من صور الدنيانية، وتختص بفصل الأخلاق عن الدين تحديداً، إذ لا يقتصر أثرها على إقصاء الدين من مجال واحد، بل تنزع عن الأخلاق لباسها الروحي وتكسوها طابعاً زمنياً مادياً، مما فتح الباب أمام ادعاءات من قبيل

1- كتاب بؤس الدهرانية ص 11.

2- كتاب بؤس الدهرانية ص 12.

"أخلاقية بلا إله" و"روحانية بلا دين"، وهي ادعاءات تصادم الوجدان والعقل معاً. وعليه فالدهرانية أخت للعلمانية، وكلتاها بنتٌ للدنيانية.

العولمة كآلة الجبارة التي أفرزتها الثورة الصناعية والتجارة العالمية؛ تبني وتدمر في آنٍ واحد، تتخطى الحدود دون رادع، ولا أحد يملك زمامها. تتجلى في الثورة المعلوماتية والإبداع التقني الذي لا يعترف بقيم ولا حضارات ولا حدود، فتذوب الفوارق بين الشعوب وتتوحد. وقد لخصها طه عبد الرحمن في :

1- نظام السيطرة سيطرة الاقتصاد على التنمية حيث تفرض قوانين السوق الرأسمالي على جميع الشعوب.

2- التقنية على العلم مما يؤدي إلى استلاب الإنسان وتحوله إلى كائن مستهلك.

3- الشبكة على الاتصال بهدف تنميط الثقافة والعقول عالمياً. (1)

يرى طه عبد الرحمن أن العولمة ليست بظاهرة جديدة أفرزتها مقتضيات الحداثة الغربية بل هي ظاهرة حضارية ملازمة للتاريخ الإنساني في كليته تتداولها الأمم التي وجهت هذا التاريخ هي فعل يحرك التاريخ ويصنعه صنعا يمكن القول:

(إن التاريخ الحضاري وليس العكس واتخذت أشكالاً متعددة فقط يطغى فيها العامل العقدي والثقافي والتجاري والسياسي والاقتصادي وحتى العامل الإعلامي).

تقوم العولمة على ثلاثة محاور سيطرة رئيسية :

1 -كتاب طه عبد الرحمن نقد الحداثة بوزارة ص 182.

أولاً: سيطرة الاقتصاد

تتأسس العولمة على منطق اقتصادي يسعى لتركيز الثروة وتوسيع نفوذ الرأسمالية، مما أفرز علاقات إنسانية قائمة على المصلحة المادية، وأدى إلى تأليه الاقتصاد وما نتج عنه من انحلال أخلاقي.

لم يعد الاقتصاد في ظل المنظومة العولمة مجرد أداة لتدبير الموارد وتلبية الحاجات البشرية، بل تحول إلى أيديولوجيا شاملة تصيغ الوجود الإنساني في قوالب مادية بحتة. إن منطق العولمة الرأسمالي لا يكتفي بتكديس الثروة وتوسيع نفوذ الأسواق، بل يفرض استلاباً قيمياً يحول الإنسان من غاية في ذاته كما تقتضي الرؤية الأخلاقية الائتمانية إلى موردٍ بشري يخضع لمنطق الربح والخسارة.

ثانياً: سيطرة التقنية

انقلبت العلاقة بين العلم والتقنية، فبعد أن كانت التقنية خادمة للعلم، أصبح العلم تابعاً للتقنية، فتسارعت الاكتشافات وباتت قوانين الطبيعة والمجتمع رهينة التجريب والحساب، مما وُلد تأليهاً للعلم والتقنية وأفضى إلى أزمت أخلاقية عميقة .

لم يعد العلم في العصر الحداثي بحثاً عن الحقيقة لذاتها، بل استحال — في نظر طه عبد الرحمن — إلى أداة للسيطرة على العالم. لقد حدث انقلابٌ جذري في موازين القوى بين العلم والتقنية، فبعد أن كان العلم هو الغاية النبيلة والتقنية هي الوسيلة الخادمة، أصبحت التقنية هي المحرك الأول والموجه الأوحد للمسار العلمي. هذا الانقلاب جعل من العلم تابعاً

دليلاً لمطالب "الفعالية التقنية"، حيث لم يعد المقياس هو ما هو صحيح أو ما هو أخلاقي، بل ما هو مُنتج وما هو قابل للتطبيق.

وقد أدى هذا التسارع المحموم في الاكتشافات التقنية إلى إخضاع قوانين الطبيعة، بل وحتى قوانين الاجتماع البشري، لمنطق التجريب الصارم والحساب الرياضي البارد. وتحت هيمنة هذا المنطق، تم تحويل الإنسان والعالم إلى موضوعات للاستغلال التقني، مما وُجد حالة من تأليه التقنية، حيث أُضفي على الآلة والتقنية طابع القداسة، وبات العلم يمارس دور "الدين الجديد" الذي يَعُدُّ الإنسان بخلصٍ دنيويٍّ ماديٍّ، متجاهلاً الأبعاد الروحية والوجودية.

إن هذا التأليه للعلم والتقنية هو الذي أفضى إلى الأزمة الأخلاقية العميقة التي نشهدها اليوم؛ إذ جُرِّدت التقنية من أي ضابطٍ قيميٍّ أو غائيٍّ. فحينما تصبح التقنية هي المشرِّع للحياة، يغدو الإنسان كائناً مشياً (من الشيء) بلا إرادة أخلاقية، وتصبح الحداثة — كما يصفها طه عبد الرحمن — حداثَةً ناقصة، تملك قوة الفعل (التقنية) ولكنها تفتقد بوصلة القيمة (الأخلاق).

ثالثاً: سيطرة الشبكة والاتصال

مثل الإنترنت امتداداً للهيمنة التقنية، إذ حوّل العالم إلى قرية معلوماتية، غير أن هذا التواصل المتسارع أفضى بدوره إلى تأليه المعلومات وإحاق الضرر بمبدأ التواصل الإنساني الحقيقي .

هذه المحاور الثلاثة أنتجت أزمات أخلاقية متراكمة، ويرى طه عبد الرحمن أن الإسلام هو الأقدر على مواجهتها وتصحيح مسارها، مستدلاً على ذلك بـ"دليل الزمن الأخلاقي".

إن أغلب ما فعله كتابنا هو نقد تراثنا الفكري الإسلامي القديم وتفكيك أوصاله عوضاً عن نقد مناهجهم المتشتمة وغبر المتماسكة، وما يسمونه دعوة التجديد ليس في الحقيقة سوى دعوة مضمرة إلى تقليد الفكر الغربي وأهله، تحركها الرغبة في استرضاء القوى المهيمنة وكسب دعمها.

ويذهب المصدر إلى أن الحقيقة المضمرة للعولمة هي ما يسميه بالعولبة أي صب الإنسان في قالب واحد موحد وتحويله إلى بضاعة متشابهة تفقد خصوصيتها وهويتها، وفي هذا السياق يرى أن مفكري التقليد قد أسهموا فعلياً في إنتاجها الإنسان المفقر روحياً وحضارياً.

يؤكد طه عبد الرحمن أن الدعوة الصحيحة إلى التجديد يجب أن تغني الإنسان العربي المسلم لا أن تفقره وأن تجعل منه آية حية، أي كيانا متكاملًا حاملًا لمنظومة حية من المقاصد والقيم، لا صدى باهتا يردد ما أنتجه غيره⁽¹⁾.

1- كتاب حوارات من أجل المستقبل ص 172.

خلاصة الفصل

كشفت هذه الدراسة عن المفارقة الجوهرية في الحداثة الغربية، التي نجحت في بناء صروح مادية وتقنية هائلة، لكنها أفرزت في المقابل فراغاً روحياً وجودياً، مما جعل من ظاهرة عودة المقدس صرخة إنسانية ضد التثبيء المادي. وفي نقده لهذه البنية، يفكك طه عبد الرحمن آلية الحداثة القائمة على فصل المتصل، أي عزل الدين عن فضاءات الحياة، متحدياً الوهم الحداثي الذي يختزل كينونة الإنسان في العقلانية المجردة، ليقرر أن الأخلاق هي الجوهر الحقيقي والمميز للوجود الإنساني.

وخلاصة القول إن طه عبد الرحمن يوصم الحضارة الغربية بالنقصان البنيوي، لكونها حضارة تملك القدرة ولا تملك اليقين بجذوى هذه القدرة. ومن هنا، يغدو مشروعه دعوة ملحة لتجاوز الحداثة القائمة نحو حداثة بديلة، عقلانيتها متجذرة في الأخلاق، وقوتها مستمدة من الروح، بما يضمن للإنسان استعادة يقينه، وصون استعداده الأخلاقي في عالم بات أحوج ما يكون إلى القيمة منه إلى التقنية.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين
تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الائتماني

تمهيد

بعد ما كشف طه عبد الرحمن عن زيف الحداثة الغربية و ما نسجته حولها من أوهام
براقة وما بثته من شكوك و قيم انحلالية إذ صورت و كأنها كيان مطلق لا يرد ولا يأتيه
الباطل من أي جهة فقد أفضى هذا التهويل المبالغ فيه لظاهرة الحداثة إلى إيقاع المجتمعات
التابعة المقلدة في متاهة فكرية و أخلاقية حقيقية و تخبط واضح في مسالكها و مأزقها، من
خلال هذا يسعى مصدرنا في تفكيك هذا الانحلال و الآفات واضعا طرق و بدائل نابغة من
داخل و أصالة التراث العربي الإسلامي، موضحا كل نقاط الانفصال و الردم التي حاولت
الحداثة الغربية طمسها.

يعتبر دور المفكر العربي في قيادة الأمة وتوجيهها في هذه المرحلة الفارقة أجل شأنًا
وأعمق أثرًا من دور السياسي الممارس، إذ يقع على عاتقه واجب صياغة اختلافه الفكري و
تحديد أصوله ومناهجه بروح إبداعية تجديدية تستلهم الموروث الحضاري و تتجاوز حدوده.
ولنا في تاريخنا الإسلامي العريق شاهدٌ حيٌّ على ذلك، يصلح أن يكون مرجعيةً راسخةً لبناء
حداثة عربية أصيلة ومستقلة.

يُعدّ الرابط بين الأخلاق والدين من أعمق المسائل التي شغلت الفكر الإنساني عبر
تاريخه الطويل، و قد ازداد هذا الجدل حدةً و اتساعًا في ظل الحداثة التي رفعت شعار
الفصل بين المجالين، ساعيةً إلى بناء منظومة أخلاقية مستقلة عن كل مرجعية دينية أو

غيبية. غير أن هذا المسار لم يُفضِ إلى الاستقرار الأخلاقي المنشود، بل كشف عن أزمة
بنيوية عميقة طالت الفرد والمجتمع على حدٍ سواء.

ومن هذا المنطلق يأتي هذا الفصل ليقف على طبيعة العلاقة بين الأخلاق و الدين،
ويرصد مآلات الفصل بينهما في الفكر الحديث، ثم يستجلي الرؤية الإسلامية التي تجعل من
الأخلاق ركيزة إيمانية وعبادة خالصة، وصولاً إلى مشروع أخلاقي إنتمائي يستعيد للإنسان
توازنه الروحي و القيمي.

1- أثر الفكر الغربي الحديث في تشكل الأزمة الأخلاقية في الواقع العربي:

باتت أبرز الإشكالات التي أفرزها الفكر الحديث وما بعده، تشير إلى حالة من
التراجع والاضطراب في المنظومة القيمية التي تنظم سلوك الأفراد والمجتمع، حيث أحدث
تحولاً جذرياً في فهم الإنسان لنفسه وللكون في إقصاء الدين عن الحياة العامة بعدما كانت
الأخلاق مرتبطة بمرجعية دينية ثابتة، جاء الفكر الحديث ليفصل الأخلاق عن الدين، في أن
الأخلاق أصبحت نسبية تتغير بحسب الزمان والمكان، ولا يوجد معيار مطلق للخير والشر،
وقد هيمنة النزعة المادية وصارت المادية كفسفة للحياة فقد قاس الإنسان الحديث كل شيء
بالمنفعة والربح المادي، فأصبح السؤال ليس "هل هذا صواب؟" بل "هل هذا مفيد لي؟".

وسعت العقلانية الأدوات إلى إضعاف المرجعيات الأخلاقية التقليدية، وتمجيد الفرد
على حساب الجماعة فأصبح الفرد هو المرجع الأعلى لنفسه، وحرته الشخصية فوق كل
اعتبار، مما أضعف قيم التضحية والواجب والمسؤولية تجاه الآخرين كما ساهمت التحولات

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

الاجتماعية والتكنولوجية السريعة في تفكيك وإضعاف كثير من الروابط والمرجعيات الأخلاقية، مما أفرز مظاهر الأنانية والاستهلاك المفرط وفقدان المعنى.

ومن ثمّ، غدت أزمة الأخلاق تعبيراً عن اختلال العلاقة بين التقدم المادي والارتقاء القيمي .

2- نشأة الأزمة الأخلاقية :

لم تنشأ هذه الأزمة من فراغ بل هي نتاج مسار تاريخي ممنهج بدأ بالاستعمار المادي ثم تحول إلى استعمار فكري أشد خطراً، والحصار الفكري قد صار ينهش المجتمعات الإسلامية من الداخل إلى الخارج فنجد مالك بن نبي في كتابه مشكلات الحضارة شروط النهضة يصف حال المجتمعات الإسلامية ويرى أن المشكلة ليست في الاستعمار وإنما في قابلية الاستعمار⁽¹⁾، وهي الاستعداد الداخلي للتبعية الغربية الناتج عن الانهيار الحضاري الداخلي، وهذه الحضارة ساهمت في تأليه العقل والإنسان وعزل الدين وإفلاس القيم وهو ما يعيد الجاهلية في ثوب عصري ومن خلال هذا يوضح طه عبد الرحمن أن الحضارة الغربية حضارة ناقصة عقلاً، وظالمة قولاً، ومتأزمة معرفة، ومتسلطة تقنية⁽²⁾، ولتشخيص الأزمة الأخلاقية يحدد طه عبد الرحمن ثلاثة مظاهر رئيسية للأزمة الأخلاقية في الفكر العربي المعاصر :

1- كتاب مشكلات الحضارة، شروط النهضة ص 09.

2- كتاب سؤال الأخلاق ص 145.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

1. الاستلاب الثقافي الذي يجعل المثقف العربي يقيم منظومته القيمية بمعايير مستعارة من الغرب فيرى في أخلاق الإسلام تخلفاً.
2. الانفصام بين القيم المعلنة والممارسة الفعلية في السلوك الاجتماعي.
3. النسبية الأخلاقية الناجمة عن غياب المرجعية الثابتة.

غير أن طه لا يقف عند التشخيص، بل يرد هذه الأزمة في جذورها إلى انفصال الممارسة الأخلاقية عن الوازع الديني الداخلي، إذ حين تتحول الأخلاق إلى مجرد عادات اجتماعية أو قوانين وضعية، تفقد قدرتها على تشكيل الضمير وتوجيه الإرادة، وتغدو قشرة هشة لا تصمد أمام الإغراءات والمصالح(1).

وللخروج من الأزمة لا يكون بإصلاح جزئي بل بتحول أخلاقي جذري و شامل قريب في عمقه من التجربة الدينية الحقيقية، تجربة تعيد للإنسان هويته و تنقله من حضارة القول إلى حضارة الفعل قوامها التخلق المؤيد الذي يجمع بين صواب الغايات ونجاعة الوسائل.

حسب المصدر فإنه من شأن التخلق المؤيد أن يخرج الإنسان من حضارة القول إلى حضارة الفعل. وبذلك يقدم التخلق المؤيد علاجاً للأزمة الأخلاقية و يقدم بدائل و حلول(2).

1- كتاب سؤال الأخلاق ص145.

2- كتاب سؤال لآخلاق ص80.

3- خصائص التخلق المؤيد و الخروج من الآفات:

1. 3 آفة التضيق:

أ- مبدأ الإيجاب:

يؤكد أن الفعل الأخلاقي في مرتبة التخلق المؤيد ليس ترفا يؤخذ أو يترك، و لا زينة اختيارية، و لا حاجة يعذر بتركها بل هو واجب بالمعنى الحقيقي للكلمة، شأنه شأن الواجب القانوني تماما في انه لا يجوز الإخلال به، و في تركه هلاك للفرد و المجتمع معا. غير أن عقوبة تركه تختلف عن عقوبة مخالفة القانون، فالقانون يعاقب بقوة خارجية تمس البدن والحرية.

أما الأخلاق في هذه المرتبة فعقوبتها داخلية روحية تتمثل في البعد عن الله و الحرمان من الارتقاء الروحي وهي سلطة ذات توجيه إلهي لا جهاز جنائي.⁽¹⁾

ب - مبدأ التكثير:

إن الفعل الأخلاقي في مرتبة التخلق الرفيعة لا يؤدي بصورة واحدة مجردة، بل يتضاعف ويتفرع من خلال آلية داخلية تسمى التكثير. آلية التكثير في النية لا يقتصر المتخلق على نية واحدة لفعل واحد بل يجرى الفعل إلى أفعال فرعية متشابهة يخصص لكل منها نية مستقلة سعيا إلى مضاعفة التقرب و الارتقاء ف درجة الكمال.

1 - كتاب سؤال الأخلاق ص 81.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

بما أن لكل وقت خلقاً و لكل حال خلقاً و لكن مقام خلقاً فإن الفعل الواحد حين يجرأ و
يكثر ينتج منظومة أخلاقية ثرية متكاملة و هكذا يكون الخلق الواحد في ذاته غنياً عن
أخلاق كثيرة⁽¹⁾.

ج - مبدأ الترتيب:

الخلق في مرتبة التخلق الرفيع ليس حالة ثابتة ولا مستوى واحد بل هو مسار تصاعدي
قابل للتدرج و التكميل من الداخل والخارج معا و كل فعل أخلاقي ينطوي على طبقات
متفاوتة في العمق والنضج فالإخلاص مثلاً بذلك العقل الأخلاقي الواحد عند المتخلق المؤيد
حامل لتفاوت الأخلاق الكثيرة في آن واحد و يرتقي بصاحبه من طبقة إلى طبقة دون أن
يبلغ سقف نهائياً للكمال⁽²⁾.

د - مبدأ الاتساع:

تتسع الأخلاق فتتجاوز علاقة الإنسان بخالقه وبني جنسه وتشمل الكائنات الحية من
حيوان ونبات ثم تتجانس الحي إلى الجامد والمعنوي المادي فالمتخلق مطالب بتنظيم الحجر
الذي يميظه عن طريق غيره وبعدهم لعن الزمن بل قد يرتقي ف يرى في كل شئ طاقة روحية
تتجه نحو الخالق لكل مخلوق إذا حق أخلاقي خاص به⁽³⁾.

1 - كتاب سؤال الأخلاق ص 81.

2 - كتاب سؤال الأخلاق ص 82.

3 - كتاب سؤال الأخلاق ص 83.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

إن آفة التضيق التي أصابت الأخلاق تعالج باب إيجاب الخلق حيث يجوز إيجاده حيث غاب و ترسيخ بنيته الداخلية و إظهار نفوذه في كل شيء و بهذا تكون خصائص التخلق المؤيد الأقدر على تصحيح قصور حضارة القول الأخلاقي.

2-3 آفة التجميد:

أ- مبدأ الاشتغال المباشر يقوم على 3 شروط متكاملة :

العمل لا النظر الخروج من التحليل النظري و الوعظ إلى الممارسة الفعلية المنتظمة المواظبة.

- الحكمة لا الظاهر التعمق فالحكمة من وراء الحكم الشرعي لا الاكتفاء بمظاهره.

- المآل لا الحال مراعاة عواقب الفعل مستقبلا فيؤتى الفعل إن كان مآله محمود و يترك إن بدت فائدته آنية⁽¹⁾.

ب - مبدأ التخلق بالأسماء الحسنی:

لا يكتفي المتخلق بأي صفة سلوكية نافعة بل يتوجه نحو الصفات الإلهية التي هي أعلى الصفات يقينا فالتقرب لا يباشر ذلك مباشرة مجردة بل عبر التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه و سلم وسيلة لا غنى عندها. بهذا يبني التخلق على أساس إله لا اجتماعي و لا نفساني⁽²⁾.

1 - كتاب:سؤال الأخلاق ص84.

2 - كتاب سؤال الاخلاق ص 85 .

ج - الاقتداء الحي:

لا يكفي قراءة كتب السيرة لان العمل يستفاد بالمشاهدة و الحضور لا بالقراءة و السماع، يبحث المتخلق عن تحقق فيه التخلق النبوي بسند متصل حتى يصل إلى النبي صل الله عليه و سلم. يسلم قيادة لهذا الشيخ المتخلق، مؤمنا بان الأخلاق تتوارث متخلقا عن متخلق كما تروى رواية عن رواية(1).

3.3 آفة التنقيص:

أ- الشعور بالسعادة:

إذا كان أصل الشقاء ومصدره هو الشعور بالحرمان هو النقصان والتعلق بالمصالح والمطامع، وأصل السعادة هو الاستغناء والتحرر من المصالح والمطامع. التخلق المؤيد يورث صاحبه إلى الاستغناء الدائم لا يقربه من مقصوده الاسمي، وسعادته ليست ظاهرة مادية زائلة، بل سعادة روحية خفية باقية لا تتحول، و بذلك يسعد نفسه و يسعد غيره بفضل تحرره المتواصل من قيود الأغراض(2).

1 - كتاب سؤال الأخلاق ص 85.

2 - كتاب سؤال الأخلاق ص 87.

ب - النظرات الإنسانية الواسعة:

يدرك المتخلق إن الإنسان خلق ليخلق وأن إنسانيته بقدر تخلقه، التخلق المؤيد يستجمع أقصى الكمالات الإنسانية و يطمح بالإنسان نحو آفاق الأنبياء والملائكة وتتسع محبته لتشمل الناس جميعا بلا تمييز، مستمدا إياها من محبة المقصود الأعلى(1).

ج - الذوق الجمالي الرفيع:

يفند التخلق المؤيد مقولة لا أخلاق في الفن إذ تصير الأخلاق عنده قيما جمالية صريحة، وعلاقته بالقيمة الأخلاقية تأثرا ووجدانيا وتذوقا حيا، فالقيمة الأخلاقية تتجاوز الأسباب الظاهرة إلى المعاني الخفية التي تعلق بهمة الإنسان وذوقه يتعلق بالجماليات العليا التي تتخطى حدود العقل و تمده بأنوارها(2).

إن حضارة القول التي هي الوجه الثاني لحضارة اللوغوس الحديثة ظلت الانسانية بترجيحها جانب القول على الجانب الفعل واتخذ هذا الظلم مظاهر تجلت في مضرات ثلاث للفعل الأخلاقي التضيق من مجاله و تجميد حاله و التنقيص من شأنه و للخروج من هذه المضادات يتم بواسطة التجربة الخفية التي هي من رتبة التأيد.

و بهذا تظهر قوة التخلق المؤيد تستطيع أن تتغلب على سوءات حضارة القول و

مظالمها للإنسان(3).

1 - كتاب سؤال الاخلاق ص 88.

2 - كتاب سؤال الاخلاق ص 88.

3 - كتاب سؤال الاخلاق ص 90.

3-4 درء الآفات الخلقية للعولمة :

إنّ الأزمة الأخلاقية التي أفرزتها العولمة لم تمرّ دون أن تستدعي نشوء وعي أخلاقي متزايد يهدف إلى الحدّ من آثارها السلبية وتداعياتها المتنامية، وقد تجلّى هذا الوعي في جملة من المبادرات الفكرية والمؤسسية، من أبرزها تعزيز تدريس الأخلاق في المؤسسات التعليمية واستحداث كراسٍ أكاديمية متخصصة في الدراسات الأخلاقية، إلى جانب تنظيم المؤتمرات والندوات العلمية التي تعالج الإشكالات الأخلاقية المستجدة. كما تمثّل هذا الوعي في إنشاء لجان استشارية وهيئات أخلاقية، وصياغة ميثاق ودساتير تضبط السلوك الإنساني في مختلف المجالات، فضلاً عن ظهور حركات إصلاحية ومنظمات إنسانية تسعى إلى ترسيخ القيم الأخلاقية في الحياة العامة.

وإلى جانب ذلك، شهد حقل الدراسات الأخلاقية توسعاً ملحوظاً من خلال بروز فروع جديدة لم تكن معروفة من قبل، مثل أخلاقيات الحياة، وأخلاقيات البيئة، وأخلاقيات الإعلام، وأخلاقيات الإدارة والعمل، وأخلاقيات الأعمال والمؤسسات الاقتصادية. كما تعززت الدعوات إلى ضرورة تحمّل الإنسان لمسؤوليته الأخلاقية تجاه مختلف مجالات الوجود الإنساني، والعمل على تحصين ذاته بالقيم الكفيلة بمواجهة مظاهر التلوث البيئي، والانفلات التقني، والتفكك الاجتماعي، والفساد السياسي، والتضليل الإعلامي.

غير أنّ هذه الجهود، على أهميتها، لم تغلح في وقف التدهور الأخلاقي الذي يشهده العالم المعاصر؛ إذ ما يزال الإنسان يعاني من أزمت متفاقمة تمس مختلف أبعاد حياته.

ويرجع ذلك، في نظر طه عبد الرحمن، إلى قدرة النظام الاقتصادي -التقني- الاتصالي الحديث على استيعاب المطالب الأخلاقية وتطويعها لخدمة مصالحه الخاصة، مستفيداً من قوة بنيته التنظيمية ومنطقه العقلاني الأداتي القائم على تعظيم الربح. ونتيجة لذلك تحوّلت المؤسسة الاقتصادية من وسيلة لخدمة الإنسان إلى غاية في ذاتها، كما غدت الأخلاق أداة وظيفية تُستثمر لتحقيق الأهداف الاقتصادية بدل أن تكون مرجعاً موجهاً لها.

ومن ثمّ، فإن تجاوز هذا الانحدار الأخلاقي لا يمكن أن يتحقق على أيدي القوى التي أسهمت في إنتاجه وترسيخه، سواء كانت اقتصادية أو تقنية أو معلوماتية، بل يقتضي البحث عن مرجعية أخلاقية أصيلة تمتلك القدرة على مقاومة اختلالات النظام العولمي وتقويم انحرافاتهما بما يخدم مصلحة الإنسان ويحفظ كرامته ويحقق الخير المشترك للبشرية⁽¹⁾.

4- الخروج من أزمات النمط المعرفي الحديث:

يرى طه عبد الرحمن أن معالجة أزمته المعرفة الحديثة، المتمثلتين في الانفصال عن القيم الأخلاقية والتوجهات الغيبية، لا يمكن أن تتحقق بمجرد تنقيح المناهج العقلية أو تخريج النتائج العلمية. ويستند في ذلك إلى عدة اعتبارات؛ أولها أن المناهج العقلية والنتائج العلمية تشكل نسقاً متكاملًا تحكمه روح واحدة، مما يجعل نقل بعض عناصره أو تعديلها غير كافٍ للتخلص من آثاره الأصلية. وثانيها أن مشروع التنقيح والتخريج يقع في تناقض منهجي، لأن من يسعى إلى تصحيح النمط المعرفي الحديث يحتاج أصلاً إلى امتلاك بديل

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

معرفي مستقل عنه، وإلا ظل خاضعاً لآلياته ومنطقه. أما ثالثها، فإن هذا المسلك يظل جزئياً ونظرياً، في حين أن الخروج من الأزمة يتطلب معالجة شاملة وعميقة تتجاوز حدود الفعل العقلي المجرد، وللخروج من الأزمتين اللتين تعانيهما المعرفة الحديثة يمكن تجاوزهما بعمليتين:

مسلك التنقيح والتخريج :

- تنقيح المناهج العقلية لتتوافق مع قبول الغيب.

- تخريج النتائج العلمية لتتسجم مع السلوك الأخلاقي.

غير أن هذه الدعوى تصطدم بثلاثة اعتراضات جوهرية:

أولاً: تماسك النسق المعرفي الحديث :

المناهج والمضامين العلمية الحديثة كتلة متماسكة يحكمها منطق داخلي متسق،

فاستعارة أي عنصر منها يعني استيراد الروح التي بُني عليها، وهذه الروح تنتقل مع العنصر

إلى أي مجال جديد وتؤثر فيه حتماً.

ثانياً - الدور الفاسد :

القائم بعملية التصحيح يحتاج أصلاً إلى معرفة طريق بديل مغاير للنمط الحديث حتى

يُنقح ويُخرَج؛ فإن كان يعرف هذا الطريق البديل استغنى به، وإن لم يعرفه وقع حتماً في

استخدام الطريق المنقول ذاته في عملية التقويم، ف جاء تصحيحه حاملاً للداء الذي يريد

علاجه.

ثالثاً: القصور والجزئية :

التصحيح النظري العقلي عمل جزئي محدود، والعقل نفسه ليس إلا فعلاً واحداً من
أفعال الإدراك كالسمع والبصر، فتأثيره ظاهري عارض، في حين يستلزم الخروج من الأزمتين
تأثيراً عميقاً وراسخاً وشاملاً.⁽¹⁾

وعليه، فإن معالجة الاختلالات التي عجزت المقاربات التصحيحية الجزئية عن
تجاوزها تستلزم سلوك طريق بديل يستند إلى مبدأ العقل الكامل والعلم النافع، لما يوفرانه
من إمكان الجمع بين البعد المعرفي والبعد الأخلاقي. ومن ثم يغدو البحث في معالم هذا
الطريق وآليات الاهتداء إليه ضرورة أساسية لفهم المشروع الأخلاقي وتجديد أسس المعرفة
الإنسانية⁽²⁾. وهي تقوم على مايلي:

1. العقل الكامل: هو العقل المفضي إلى القرب من الله و يحقق الجمع بين العقل و الغيب
فهو لا يقتصر على العقل التكليفي بل يشمل العقل التشريفي أي التأمل في الآيات الكونية و
استخلاص العبر.

2- العلم النافع: فهو العلم الباعث على العمل الصالح و يحقق بذلك الجمع بين العلم و
المعرفة فلا يقتصر على العلم الشرعي بل كذلك يشمل العلم الوضعي في دراسة الظواهر
الطبيعية.

1 - سؤال الاخلاق ص 96.

2 - سؤال الأخلاق ص 95.96.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

إن انتقاء من النمط المعرفي الموروث أو العمل بالنظر العقلي المجرد وحده لا يغير شئ جوهريا لأن النمط المعرفي راسخ عبر السنين ولا تجديده إصلاحات سطحية⁽¹⁾.

و لتحصيل مطلبنا و بلوغ غرضنا هذا إلا بالدخول في تجربة حية تتال كلية الإنسان في رسوخ المعرفة أكثر تبليغ من الموروث و تتكون تجربة شمولية وجذرية والأصل أن أكثر تجربة لها اثر هي التجربة الخلقية المؤيدة فهي اقدر على تحصيل مطلبنا في الجمع بين الغيب و العقل و الجمع بين العلم و الأخلاق⁽²⁾.

5- الأنموذج الانتمائي و اتحاد الأخلاق بالدين (كتاب بؤس الدهرانية)

1-5 السياق الحدائي وانفصال الأخلاق عن الدين:

قبل الخوض في هذا العنصر لابد من استحضار مفهوم روح الحداثة عند طه عبد الرحمن، لما يمثله من مدخل أساسي لفهم تصوره للحداثة وحدودها وتمهيدا لفهم رؤيته النقدية للحداثة ومقتضياتها الأخلاقية.

أ- روح الحداثة :

لا يمكننا الخوض في الأخلاق الإسلامية والبناء الطاهوي دون المرور على أهمية عناصر مشروعه في كتاب روح الحداثة المرحلة البنائية في مشروع طه عبد الرحمن، فبعد أن هدم في "سؤال الأخلاق" زيف الحداثة الغربية، انتقل في "روح الحداثة" إلى التأسيس لحداثة إسلامية أصيلة تستوعب روح العصر دون أن تذوب فيه أو تفقد هويتها.

1 - كتاب سؤال الأخلاق، ص ص 96.97 .

2 - كتاب سؤال الأخلاق، ص ص 98، 99.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

خصائص روح الحداثة عند طه عبد الرحمن تتمثل في الفُرق بين "روح الحداثة" و "واقع الحداثة"، مؤكِّدًا أن روح الحداثة تنبني على مجموعة من المبادئ الأساسية التي تشكل جوهرها النظري وتحدد ملامحها الفكرية، إذ إن فهم خصائص الحداثة لا يتأتى إلا من خلال الوقوف على المبادئ التي تسعى إلى تجسيدها في الواقع. وتتمثل هذه المبادئ في ثلاثة أسس كبرى هي: مبدأ الرشد الذي يكرّس مكانة العقل في توجيه الفكر والسلوك، ومبدأ النقد الذي يقوم على مساءلة المعارف والموروثات وعدم التسليم بها دون تمحيص، ومبدأ الشمول الذي يهدف إلى توسيع دائرة هذه المبادئ لتشمل مختلف مجالات الحياة الإنسانية. ومن ثمّ، فإن دراسة هذه المبادئ تقتضي تناول كل واحد منها على حدة للكشف عن دوره في بناء التصور الحداثي.

ب- مبدأ الرشد:

يقوم مبدأ الرشد على اعتبار أن جوهر الحداثة يتمثل في انتقال الإنسان من حالة القصور إلى حالة الرشد والاستقلال الفكري. والمقصود بالقصور، وفق التصور الذي عرضه كانط في إجابته عن سؤال: «ما الأنوار؟»، هو عجز الفرد عن استعمال عقله وتدبير شؤونه الفكرية بنفسه دون وصاية من الآخرين، مع تحمّله المسؤولية عن هذا العجز، إذ لا يعود سببه إلى غياب القدرة العقلية، بل إلى اختياره الخضوع لسلطة الغير والاعتماد عليه في التفكير والحكم. إن القصور هو اختيار التبعية للغير وتتجلى التبعية في صور متعددة، أبرزها:

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

التبعية الاتباعية : وتتمثل في تسليم الفرد زمام تفكيره لغيره طوعاً، بحيث يتلقى الأحكام والآراء جاهزة دون أن يمارس حقه في النظر والاجتهاد والتفكير المستقل.

التبعية الاستنساخية : وتقوم على نقل مناهج التفكير ونتائجه من الآخرين وإسقاطها على الواقع المحلي كما هي، دون مراعاة خصوصيات السياق أو اختلاف الشروط الحضارية والثقافية.

التبعية الآلية : وتتمثل في انسياق الفرد، من غير وعي أو إدراك كافٍ، وراء أنماط فكرية أو سلوكية مفروضة عليه بفعل العادة أو التأثير الاجتماعي والثقافي، فيتحول إلى مجرد منفذ لها دون ممارسة النقد أو المراجعة⁽¹⁾.

وعليه، فإن مبدأ الرشد يهدف إلى تحرير الإنسان من مختلف أشكال الوصاية والتبعية، وتمكينه من ممارسة التفكير الحر والمسؤول، بما يجعله قادراً على بناء مواقفه واختياراته انطلاقاً من وعيه الذاتي واستقلاله العقلي، ويتبين أن الرشد مبناه على ركنين الاستقلال والإبداع، وله ركنان :

أولاً - ركن الاستقلال :

يقصد بالاستقلال تحرر الإنسان الراشد من مختلف أشكال الوصاية الفكرية والسلطات التي تحدّ من قدرته على النظر والتفكير الحر. فالإنسان الراشد لا يقبل أن يكون تابعاً لغيره في القضايا التي يملك حق النظر فيها، بل يمارس عقله باستقلالية تامة، مستنداً إلى قدرته

1 - روح الحداثة ص 25.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

الذاتية على الفهم والحكم والتقدير. ولا يقتصر الاستقلال على مجرد التخلص من التبعية الفكرية، وإنما يمتد إلى قدرة الفرد على تشريع أفعاله واختياراته بنفسه، وفق ما يراه صواباً بعد التأمل والنظر. ومن ثم، يغدو الإنسان الراشد فاعلاً حرّاً، منطلق الإرادة، راسخ الذات، وقادراً على توجيه مسار حياته بوعي ومسؤولية.

ثانياً - ركن الإبداع :

أما الإبداع فيتمثل في قدرة الإنسان الراشد على إنتاج أفكار جديدة وصياغة أقوال وأفعال مبتكرة، أو إعادة بناء القيم والمعاني الموروثة في صور متجددة تمنحها حياة جديدة ودلالات أعمق. فالرشد لا يكتمل بمجرد الاستقلال عن الآخرين، بل يتطلب أيضاً الإسهام الإيجابي في إثراء الواقع وإبداع بدائل فكرية وقيمية تتجاوز حدود التقليد والمحاكاة. ومن هنا ارتبط مفهوم الإبداع ارتباطاً وثيقاً بفكرة الحداثة، ولا سيما في مجالي الأدب والفن، حيث برزت النزعة الحداثية بوصفها دعوة إلى التجديد المستمر والبحث عن أشكال جديدة للتعبير والإنتاج، مع إعلاء قيم الاختراع والابتكار وتجاوز الأطر التقليدية السائدة. وبذلك يتجلى الإنسان الراشد باعتباره كائناً مبدعاً، لا يكتفي بفهم واقعه، بل يسعى إلى تجديده وإعادة تشكيله بصورة مستمرة⁽¹⁾.

ج- مبدأ النقد :

يُعدّ مبدأ النقد أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها روح الحداثة، ويقضي الانتقال من حالة الاعتقاد إلى حالة الانتقاد. والمقصود بالاعتقاد هو التسليم بالأفكار أو الأحكام

1 - روح الحداثة ص 26.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

دون الاستناد إلى دليل أو برهان يثبت صحتها، في حين أن الانتقاد يقوم على إخضاع هذه الأفكار للفحص والمساءلة والمطالبة بالدليل قبل الإقرار بها. وبذلك يصبح العقل النقدي أداة أساسية في بناء المعرفة وتوجيه المواقف والاختيارات. وينبني مبدأ النقد على ركنين رئيسيين هما : التعقيل والتفصيل.

أولاً : ركن التعقيل (العقلنة) :

يقصد بالتعقيل إخضاع مختلف مجالات الوجود الإنساني والطبيعي لمقتضيات العقل ومبادئ العقلانية. ويشمل ذلك ظواهر العالم الطبيعي، ومؤسسات المجتمع، وأنماط السلوك الإنساني، فضلاً عن الموروثات التاريخية والثقافية. ويهدف هذا المسعى إلى تحقيق فهم أكثر دقة لهذه المجالات، بما يتيح تطويرها وتحسينها بصورة مستمرة.

وقد تجلت العقلنة الحداثية بصورة واضحة في العلوم الطبيعية التي اعتمدت المنهج التجريبي والعقلاني في تفسير الظواهر، كما ظهرت في التنظيمات الإدارية الحديثة القائمة على البيروقراطية والتقنوقراطية، وفي النظام الرأسمالي القائم على منطق السوق والإنتاج. ومع تطور الحداثة بلغ التعقيل مرحلة جديدة تمثلت في هيمنة المنظومة العلمية التقنية، حيث لم تعد التقنية مجرد وسيلة لخدمة العلم، بل أصبحت عنصراً موجّهاً له، يحدد أولوياته ويرسم مسارات تطوره.

ثانياً : ركن التفصيل (التفريق) :

يقوم التفصيل على الانتقال من حالة التجانس والوحدة إلى حالة التمايز والتخصص، بحيث تنفصل المجالات والوظائف والعناصر المختلفة بعضها عن بعض، ويصبح لكل منها منطقها الخاص وآلياتها المستقلة. ويهدف هذا التفريق إلى تحقيق مزيد من الدقة والفعالية في تنظيم مختلف مجالات الحياة.

وقد تجسد هذا المبدأ في ميادين متعددة؛ ففي مجال المعرفة تم التمييز بين دوائر العلم والقانون والأخلاق والفنون، بحيث اكتسب كل مجال استقلاله المنهجي والوظيفي. كما ظهر في المجال الثقافي من خلال الفصل بين القيم النظرية والقيم العملية والقيم الرمزية. أما في المجال الاجتماعي، فقد تجلّى في تنوع الأدوار والوظائف التي يضطلع بها الفاعلون الاجتماعيون، وفي المجال الاقتصادي من خلال مبدأ تقسيم العمل وتخصص المهام. وترتب على هذا التفصيل أن أصبحت لكل دائرة من هذه الدوائر شرعيتها الخاصة ومنطقها الداخلي المستقل، مما أتاح لها إمكانات أكبر للتطور والنمو بعيداً عن هيمنة المجالات الأخرى.

2-5 مظاهر التفصيل في الفكر الحداثي :

يمكن إدراج عدد من أشكال الفصل التي ارتبطت بالمشروع الحداثي ضمن هذا الإطار، ومن أبرزها الفصل بين الدين والدولة الذي يمثل أحد الأسس النظرية للعلمانية، إضافة إلى الفصل بين الدين والأخلاق، وبين الدين والعقل، وبين الأخلاق والسياسة. ورغم

اختلاف الآراء حول طبيعة هذه الفصول وموقعها داخل المشروع الحداثي، فإنها تشترك جميعاً في كونها تقوم على مبدأ التمييز بين المجالات وإضفاء الاستقلال النسبي على كل منها، سواء كان ذلك نتيجة لمسار التطور التاريخي للمجتمعات الحديثة أو ثمرة لاختيارات فكرية وسياسية واعية⁽¹⁾.

3-5 مبدأ الشمول :

يُعدّ مبدأ الشمول الركيزة الثالثة من ركائز روح الحداثة، ويقوم على الانتقال من دائرة الخصوص إلى أفق الشمول والاتساع. ويُقصد بالخصوص هنا أمران أساسيان : أولهما ارتباط الظواهر أو الأفكار بمجال محدد ذي حدود معينة، وثانيهما ارتباطها بمجتمع معين يحمل خصائص حضارية وثقافية خاصة.

ومن ثمّ، فإن الشمول الحداثي يتمثل في تجاوز هذه الحدود الضيقة، سواء تعلق الأمر بخصوصية المجال أو بخصوصية المجتمع، بما يسمح بانتشار المبادئ والآليات الحداثية واتساع تأثيرها. وينبني هذا المبدأ على ركنين أساسيين هما: التوسع والتعميم.

أ- ركن التوسع:

يقصد بالتوسع امتداد تأثير الحداثة إلى مختلف مجالات الحياة الإنسانية دون أن يقتصر على مجال بعينه، فالحداثة لا تكفي بإحداث التحول في قطاع محدد، بل تتغلغل في شتى الميادين الفكرية والعلمية والدينية والأخلاقية، كما تمتد إلى مجالات القانون والسياسة

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

والاقتصاد. ويترتب على ذلك أن التحول الذي يطرأ على أحد هذه المجالات ينعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على المجالات الأخرى، فتتولد سلسلة من التغيرات المتداخلة التي تعيد تشكيل البنية العامة للمجتمع.

كما أن النزعة النقدية التي تميز الفكر الحداثي تدفع إلى إخضاع جميع المجالات لمقتضيات النظر العقلي دون استثناء، الأمر الذي يجعل الحداثة مشروعاً شاملاً يسعى إلى إعادة تنظيم مختلف أبعاد الحياة الإنسانية وفق معايير عقلانية متجددة.

ب - ركن التعميم :

أما التعميم فيتمثل في تجاوز الحداثة للحدود الجغرافية والثقافية للمجتمع الذي نشأت فيه، وانتقالها إلى مجتمعات أخرى مختلفة في ظروفها التاريخية وخصوصياتها الحضارية. فقد أسهمت المنجزات التقنية والقيم المرتبطة بالحرية والعقلانية في انتشار النموذج الحداثي خارج بيئته الأصلية، مما أتاح له حضوراً متزايداً في مختلف أنحاء العالم.

وقد تعزز هذا الانتشار بفعل التطور المتسارع في وسائل النقل والاتصال، التي ساهمت في تسهيل انتقال الأفكار والمعارف والمنتجات التقنية عبر الحدود، وأدت إلى تقارب المجتمعات وتزايد التفاعل بينها. ونتيجة لذلك، برزت مرحلة جديدة من تطور الحداثة تمثلت في ظاهرة العولمة، التي جعلت من العالم فضاءً أكثر ترابطاً وتداخلاً على المستويات الاقتصادية والثقافية والمعرفية⁽¹⁾.

1 - روح الحداثة ص 29.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

يتبين مما سبق أن روح الحداثة تقوم على ثلاثة مبادئ مترابطة ومتكاملة. يتمثل أولها في مبدأ الرشد الذي يقتضي تحقيق الاستقلال الفكري والتحرر من الوصاية، إلى جانب تنمية القدرة على الإبداع والتجديد. أما ثانيها فهو مبدأ النقد الذي يقوم على إخضاع مختلف مجالات الحياة للعقلانية والمساءلة، مع إرساء مبدأ التمييز والتخصص بين الحقول والوظائف المختلفة. في حين يتمثل ثالثها في مبدأ الشمول الذي يهدف إلى توسيع نطاق تأثير الحداثة ليشمل جميع مجالات النشاط الإنساني، وتعميم مبادئها وقيمتها على مختلف المجتمعات.

وعليه، فإن روح الحداثة تتحدد بمجموعة من الخصائص الجوهرية التي تجعلها روحاً راشدة تسعى إلى الاستقلال والإبداع، وناقذة تقوم على التعقيل والتفصيل، وشاملة ترتكز على التوسع والتعميم.

6- فصل الأخلاق عن الدين:

تميّزت الحداثة الغربية، ولا سيما منذ عصر الأنوار، بتحول جذري في نظرتها إلى القيم والأخلاق مقارنة بالمرحلة الحضارية السابقة، فقد اتجه مفكرو التنوير إلى القطع مع المنظومة الأخلاقية التقليدية التي كانت الأسرة تضطلع بدور أساسي في نقلها وترسيخها لدى أفراد المجتمع، باعتبار أن مرجعيتها الأساسية كانت دينية. وانطلاقاً من هذا التصور، سعى رواد الفكر الأنواري إلى تحرير الأخلاق من السلطة الدينية، بحيث لا تقوم على الخوف من العقاب الأخروي أو الطمع في الثواب، كما عملوا على تخليصها من هيمنة

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

المؤسسة الكنسية ورجال الدين، مؤسسين بذلك لنمط جديد من التفكير الأخلاقي قائم على الاستقلال عن المرجعية الدينية.

1-6 مبادئ فصل الأخلاق عن الدين:

تجسدت محاولة فصل الأخلاق عن الدين في مجموعة من المبادئ التي أسست لقطيعة واضحة مع المرجعيات الدينية التقليدية، ويمكن إجمالها في ثلاثة مبادئ رئيسية:

أ- مبدأ التوجه إلى الإنسان:

يقوم هذا المبدأ على إحلال الإنسان محل المرجعية الإلهية في توجيه التصورات والسلوكيات، بحيث يصبح الإنسان محور التفكير ومركز الفعل. ويرى أنصار هذا التوجه أن الفرد يمتلك القدرة على التحكم في مصيره وتدبير شؤونه وتحقيق مصالحه اعتماداً على إمكاناته الذاتية، دون الحاجة إلى الاستناد إلى قوة غيبية أو مرجعية متعالية. ومن ثم، فإن هذا المبدأ يعبر عن نزعة واضحة نحو الاستقلال عن المرجعية الإلهية.

ب- مبدأ التوسل بالعقل:

يرتكز هذا المبدأ على جعل العقل المصدر الأساسي للمعرفة والحكم الأخلاقي، عوضاً عن الوحي الديني. فالعقل، وفق التصور الحداثي، يمثل السلطة الداخلية التي تمكن الإنسان من إصدار الأحكام وتقويم الأفعال وتحديد معايير الصواب والخطأ بصورة مستقلة. وبذلك يُنظر إليه بوصفه مرجعاً كافياً لتوجيه السلوك الإنساني دون الحاجة إلى هداية الوحي أو إرشاده، الأمر الذي يجعل هذا المبدأ تجسيداً للانفصال عن المرجعية الوحيية.

ج- مبدأ التعلق بالدنيا:

يقضي هذا المبدأ بحصر اهتمام الإنسان في الحياة الدنيا وجعلها المجال الوحيد لتحقيق السعادة والتقدم والازدهار. فالتصور الحداثي يعتبر أن مصير الإنسان وصلاحه يتحققان من خلال الإنجازات الدنيوية والتطور المستمر في مختلف المجالات، بينما تُعدّ التصورات المرتبطة بالآخرة والخلص الأبدي تصورات غير مؤسسة على أسس عقلية، بل ينبغي تجاوزها عبر تنمية الوعي وتحرير الفكر.

وعليه، فإن هذا المبدأ يعبر عن انفصال واضح عن البعد الأخروي في توجيه السلوك الإنساني.

وبذلك تشكل هذه المبادئ الثلاثة التوجه إلى الإنسان، والتوسل بالعقل، والتعلق بالدنيا الأسس النظرية التي قامت عليها الدعوة الحداثية إلى فصل الأخلاق عن الدين وإعادة بناء المنظومة القيمية على أسس إنسانية وعقلانية ودنيوية⁽¹⁾.

2-6 كتاب بؤس الدهرانية: النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين

يكشف طه عبد الرحمن في "بؤس الدهرانية" أن الحداثة الغربية لم تكتفِ بفصل الدين عن الدولة، بل تجاوزت ذلك إلى ما هو أخطر، وهو فصل الأخلاق عن جذرها الغيبي والروحي .

1 - روح الحداثة ص 101.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

فحين أقصت الدهرانية البعد الديني من دائرة المعرفة والحياة، لم تُفرغ الإنسان من معتقده وحسب، بل جرّدت الأخلاق من سلطتها الداخلية الملزمة، وحوّلتها من فضيلة حيّة نابعة من الوجدان إلى مجرد قواعد اجتماعية باردة تخضع للتفاوض والتغيير .

وبهذا الفصل القسري بين الدين والأخلاق، وجد الإنسان الحديث نفسه أمام منظومة قيمية معلقة في الهواء، لا تستند إلى مرجعية ثابتة ولا تُقضي إلى غاية تتجاوز المصلحة الآنية، وهو ما يُشكّل في نظر طه جوهر البؤس الذي آلت إليه الدهرانية.

هذا الكتاب يعد من أبرز الأعمال الفلسفية المعاصرة للمفكر، يندرج الكتاب في سياق اهتمام المؤلف بإبراز الآثار الفكرية والقيمية المترتبة على فصل الدين عن مجالات الحياة المختلفة، متخذاً من العلاقة بين الأخلاق والدين محوراً أساسياً للتحليل والنقد. ومن ثمّ يطرح سؤالاً جوهرياً مفاده : . كيف أسهم الفكر الحداثي في إحداث القطيعة بين الإنسان وأصوله الأخلاقية والروحية؟

يسعى الفيلسوف طه عبد الرحمن من خلال هذه الفصول السبعة إلى تفكيك مقولات الحداثيين، ونقد مشروعهم (الديني) الذي توسلوا إلى إقامته بـ"آلية تفريق المجموع" أو قل "آلية فصل المتصل"، وذلك بفصل الدين عن مجالات الحياة. ويسمي طه هذا العمل (بفصل الدين عن مجالات الحياة) بـ"الدُنْيانية"، التي تتخذ صوراً متعددة منها فصل السياسة عن الدين، وهو "العلمانية"، ومنها فصل الدين عن العلم، وهو "العلموية"، ويرى الفيلسوف طه أن أشد هذه الفصول خطراً وأبلغها أثراً هو "فصل الأخلاق عن الدين"، وذلك لأن (فصل

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

الأخلاق عن الدين ينزع عن الأخلاق لباسها الروحي ويكسوها لباسا زمنيا). ويسمي طه هذا العمل بـ"الدهرانية"، وصور "الدُنْيانية" تختص عنده بفصل الأخلاق على الدين، كما تختص "العلمانية" بفصل السياسة عن الدين، وكما تختص "العلموية" بفصل العلم عن الدين ويتوسل طه في نقده للحداثة بمنهج الفلسفي الذي أطلق عليه "النقد الائتماني"، وذلك أن تعريفه للفلسفة لا ينطلق من التعريف المتداول الذي يعرفها بأنها "المعرفة العقلية المجردة". وإنما يرى طه أن العقل ثلاثة درجات "عقل مجرد" وهو العقل الذي لا يعبأ بالممارسة الدينية، و"عقل مسدد" وهو العقل الذي ينطلق من الممارسة الدينية، ولكن اتجاهه الأفقي (يجعله يتعلق بظواهر الأشياء في اتصال وجودها ببعضه ببعض)، و"عقل مؤيد" وهو عقل منطلق من الممارسة الدينية، بيد أن اتجاهه العمودي (يجعله يطلب خفي دالاتها بالنسبة لوجوده). ويتأسس "العقل المؤيد" الذي تتحدد به الفلسفة الائتمانية على ثلاثة ركائز، هي "مبدأ الشهادة" و"مبدأ الأمانة" و"مبدأ التزكية".

وعلى هذه المبادئ الثلاثة بنى الدكتور طه نقاشه (في هذا الكتاب لما تعاطته الحداثة

من فصل الأخلاق عن الدين).

أ- الدهرانية وإحلال الإنسان محل الإله:

في الباب الأول من الكتاب ينطلق المؤلف من القاعدة التي قررها في مدخل الكتاب، والتي تقول إن العقل ليس ذاتا مدركة مركوزة في داخل الإنسان، وإنما فعلا إدراكيا داخليا يصدر عن قلب الإنسان كما تصدر أفعال الإدراك الخارجية عن حواسه ليؤكد أن عقل

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإنتمائي

الحداثة ليس عقل ما قبل الحداثة ولا عقل ما بعدها، ملاحظاً أن عقل ما قبل الحداثة اختص بكونه يصل الأشياء بعضها ببعض، على عكس عقل الحداثة الذي اختص بكونه يفصل الأشياء بعضها عن بعض، وأول ما بدأ ذلك الفصل كان بفصل "المتصل الديني" وفق تعبير المؤلف.

ويبين المؤلف - في الفصل الأول من هذا الباب - أنه يقتصر في هذه المقاربة على نقاش الدهرية التي لا تعادي الدين المنزل، منطلقاً في نقاشها من ثلاث مسلمات، هي: "مسلمة التبدل الديني" و"مسلمة التخلق المزدوج" و"مسلمة الأمرية الإلهية".

وفي إطار هذه المسلمات الثلاث يعرض المؤلف الصيغ الأربع للأنموذج الدهراني: "الصيغة الطبيعية" (جان جاك روسو)، و"الصيغة النقدية" (كانط)، و"الصيغة الاجتماعية" (دوركايم)، و"الصيغة الناسوتية" (ليك فيري)؛ مبيناً عوار هذه الصيغ وما تحمله داخلها من تناقض، موضحاً (أن الدهرانيين لا يقصدون في بعض الأحيان بـ"العقلانية" سوى إحلال الإنسان محل الإله، وإسناد كمالات الجلال والجمال إليه)

ثم يبين - في الفصل الثاني من نفس الباب - ما تحتوي عليه هذه الصيغ الأربع من بؤس فكري فاحش، تمثل في تصورات فاسدة عن علاقة الإله بالإنسان، وهي "التصور الخارجي" الذي غلب على الصيغة النقدية، و"التصور التجزيئي" الذي غلب على الصيغة الطبيعية، و"التصور التسيدي" الذي غلب على الصيغة الاجتماعية، و"التصور التجسيدي" الذي غلب على الصيغة الناسوتية.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

موضحاً أن مرد هذا البوس الفكري هو "الجهل بالقدر الإلهي" والاعتزاز بقدرة العقل، مؤكداً أن الدهرانيين من أشد الناس جرأة على حرمة الذات الإلهية، وأكثرهم تطاولاً على أسمائها وأوصافها، إذا لا يترددون في نسبتها إلى الإنسان، فيصفونه بالألوهية والربوبية والخالقية، ثم ينسبون إلى الذات الإلهية صفات الإنسان، فيصفونه بالضعف والقسوة والألم والعشق.

ب- من التفكيك إلى البناء:

بعد أن ينتهي الدكتور طه من تفكيك مشروع الدهرانية ورؤيتهم للأخلاق يشرع في بناء مشروعه الأخلاقي المستمد من الدين الإسلامي والذي يطلق عليه "الأنموذج الإنتمائي" وذلك في الفصل الثالث من نفس الباب، ويقوم هذا الأنموذج على خمسة مبادئ رئيسية، هي: "مبدأ الشاهدية الإلهية" التي هي أصل التخلق الإنساني، فلولاً شهادة الإله لهذه الأعمال وشهادته عليها لما تم للإنسان تخلق، ناهيك عن كمال التخلق، والمبدأ الثاني هو "مبدأ الآياتية" ومقتضى هذا المبدأ أن اتصال الدين بالعالم عبارة عن اتصال آيات، لا اتصال ظواهر، والمبدأ الثالث هو "مبدأ الإيداعية" ويُقصد بهذا المبدأ أن الأشياء ودائع عند الإنسان، ويقضي ذلك منا أن ننسب الأشياء إلى بارئها وشاهدها نسبة مطلقة، وإلا فلا أقل من أن ننسبها إليه قبل أن ننسبها إلى أنفسنا، والمبدأ الرابع هو "مبدأ الفطرية" ومقتضاه أن الأخلاق مأخوذة من الفطرة، والمبدأ الخامس هو "مبدأ الجمعية" ومقتضاه أن الدين المنزل كله أخلاق، وذلك لأن إنسانية الإنسان لا تتحقق بعقلانيته المجردة، وإنما بأخلاقته المسددة، ولم ينزل الدين إلا لكي يرقى بهذه الإنسانية بفضل كمال التخلق.

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

وتُخرج هذه المبادئ الخمسة الإنسان من مشقة التخلق إلى متعة التخلق، ومن ضيق الظواهر وانفصالها إلى سعة الآيات واتصالها، ومن التسلط على الأشياء إلى الترفق بها، ومن التخلق الظاهر إلى أصوله في أغوار الباطن، ومن تخليق الإنسان لذاته بعضا إلى تخليقها كلا، باطنا وظاهرا؛ وبهذا تنتقل هذه القيم الأخلاقية إلى رتبة القيم الجمالية.

بعد هذا البناء لـ"النموذج الائتماني" يعود المؤلف - في الفصل الرابع من نفس الباب - من جديد نقد "مذهب الدهرانية" ليبين أنه مذهب بائس، فيه ظلم للدين وظلم للأخلاق وذلك بالفصل بينهما؛ بل و"ظلم لماهية الإنسان نفسها" لأنه نزل بها عن رتبها نزولا بعيدا. موضحا أن الدهرانيين بلغوا غاية الاعتزاز بأنفسهم، وأنزلوها (منزلة الإله!)، وأنهم لم يؤرقهم شيء مثلما أرقهم المعنى الأمري الذي تحمله القواعد الأخلاقية حتى ولو جاء لفظها بصيغة الخبر، إذا لا يأنفون من شيء أنفهم من الطاعة لغير أنفسهم وأهوائهم، جاعلين منها السبب في مآسيهم ومساوئهم).

ج- مفكرة الحداثة

في الباب الثاني من الكتاب وضمن فصوله الثلاثة يناقش المؤلف المثقفين العرب، الذين يطلق عليهم "مفكرة الحداثة"، وذلك لأنهم لا يجدون مذلة، ولا شناعة، ولا حتى حرجا في تقليد الآخرين فيما استحدثوه من أنماط تفكيرهم، بل أكثر من ذلك يسخرون أقلامهم وأفهامهم للدعوة إلى صواب ذلك التقليد ووجوبه، وبث روحه وقانونه في نفوس مواطنيهم، ظالمين لتاريخهم وتراثهم، بل تأخذهم العزة بمساوئ هذا التقليد، فحسبهم من الحداثة أن ينقلوا

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

عن غيرهم الفكرة تلو الفكرة، والعبارة تلو العبارة، فصاروا بذلك "مفكرة للحداثة" تختزن من ينتجه الفلاسفة الحداثيون في الغرب وتخرجه كما هو، ويبين المؤلف أن "المتقنين العرب" بسبب بؤسهم الفكري غير المسبوق، وشعورهم بعقدة النقص التي لا تبرحهم ينساقون إلى إسقاط ذلك البؤس على تراث الأمة، ماحين من أفق تفكيرهم وجود ثراء أخلاقي وروحي فيه، مؤكداً أنه لولا استنكارهم الحق واستحسانهم الباطل وتلبيسهم على القراء لما اشتغل بالرد على أدلتهم المحجوجة.

خلاصة الفصل

يؤكد طه عبد الرحمن من خلال كتاب بؤس الدهرانية أن الفعل الأخلاقي لا يكتسب قيمته الحقيقية من مجرد الامتثال لقواعد عقلية أو اجتماعية، وإنما من ارتباطه بمقاصد عليا تتجاوز المصلحة الفردية والاعتبارات المادية. فالدين، في نظره، لا يقتصر على تقديم جملة من الأوامر والنواهي، بل يؤسس لتجربة أخلاقية متكاملة تجعل الإنسان واعياً بمسؤوليته أمام الله وأمام غيره من الناس. ومن ثم فإن فصل الأخلاق عن الدين يؤدي إلى تحويل القيم إلى معايير نسبية ومتغيرة تخضع لأهواء الأفراد والجماعات وظروف التاريخ.

وفي مواجهة هذا التصور الدهراني، يطرح طه عبد الرحمن ما يسميه بـ«النظرية الائتمانية»، التي تقوم على اعتبار الإنسان كائناً مؤتمناً على القيم والأفعال التي يمارسها في العالم. فالأمانة هنا ليست مجرد تكليف شرعي، بل هي أساس الوجود الإنساني ومصدر المسؤولية الأخلاقية. وبموجب هذا التصور يصبح الإنسان مطالباً بتحقيق مقتضيات الأمانة من خلال الالتزام بالقيم الدينية التي تزكي النفس وترتقي بالسلوك.

لذلك يدعو طه عبد الرحمن إلى إعادة بناء الفكر الأخلاقي على أسس ائتمانية تجمع بين مقتضيات العقل وهداية الوحي، رافضاً التعارض الذي أقامته الحداثة الغربية بين الإيمان والعقل. فالعقل، بحسب تصوره، لا يفقد قيمته داخل المجال الديني، بل يجد فيه مجالاً أوسع لتحقيق مقاصده الأخلاقية والإنسانية. وبهذا يسعى إلى تأسيس نموذج أخلاقي يجمع بين

الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحداثة الغربية وآفاق التجاوز الفكر الإنتمائي

البعد العقلي والبعد الروحي، ويمنح الإنسان القدرة على تحقيق التوازن بين متطلبات الحياة
المادية والقيم المتعالية.

الفصل الثالث: معالم المشروع
الأخلاقي الإسلامي عند طه عبد
الرحمن وحدود فاعليته

تمهيد

يُعدّ المشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمن بناءً فكرياً متكاملًا، ينهض من قلب التشخيص النقدي لأزمات الواقع الإسلامي المعاصر. يرى طه أنّ الأخلاق تعيش حالة من الحصار المطبق الذي تتقاطع فيه ثلاثة أضلاع: خارجية تتمثل في الهيمنة الثقافية الغربية التي تكرر النزعة الدهرانية، وداخلية تتمثل في جمود الفكر والتقليد الذي أفقد الأخلاق روحها، وذاتية تتمثل في انبهار النخب بالنموذج الحداثي وعزوفها عن المرجعية الأخلاقية الأصيلة.

وفي مقابل هذا الحصار، يطرح طه عبد الرحمن أخلاق القرآن كمرجعيةٍ عليا، وأساسٍ وجوديٍ لا غنى عنه لأي نهضة حقيقية؛ فهي السبيل الوحيد لإعادة صياغة الإنسان من الداخل، وتحويله من كائنٍ مغتربٍ إلى فاعلٍ أخلاقيٍّ يستمد وجوده من ميثاق الائتمان. ومن هذا المنطلق، ينتقل مشروعه من التنظير إلى بناء حضارة بديلة تتجاوز ثنائية الروح والمادة، وتوصل لمفاهيم المسؤولية والأمانة.

غير أن هذا الطموح التجديدي، بما يحمله من كثافة فلسفية، يضعنا أمام سؤالٍ مركزيٍّ حول حدود فاعليته: كيف نردم الهوة الفاصلة بين رصانة التأسيس النظري وتحديات التنزيل الواقعي؟ هذا ما سيعالجه هذا الفصل من خلال مقارنة نقدية، تستهدف تفكيك معالم هذا

المشروع، وتقييم قدرته على تقديم بديلٍ إجرائيٍّ يخرج الأخلاق من حيز الفكر إلى فضاء الوجود العملي.

الفصل الثالث: معالم المشروع الأخلاقي الإسلامي عند طه عبد الرحمن وحدود فاعليته

1- الدعوة إلى فك الحصار عن أخلاق المسلمين:

ويستهل طه مشروعه بالدعوة إلى تحرير الأخلاق الإسلامية من حصار مزدوج ضربته عليها الحداثة من خارج والجمود من داخل، ثم يُعيد بناء الأخلاق الإسلامية على أساسها القرآني الأصيل الذي يجعل من التخلُّق مساراً وجودياً شاملاً لا مجرد التزام شكلي بالأوامر والنواهي. ومن هذا التأسيس يفتح على آفاق الإصلاح الأخلاقي الممكن في إطار مشروعه الائتماني، قبل أن يواجه في المحطة الأخيرة السؤال الأكثر إلحاحاً وحساسية، وهو مدى قابلية هذا المشروع للتطبيق الفعلي في واقع يتشابك فيه الموروث مع المستحدث، ويتنازع فيه النقد مع التقييم.

وعليه، يسعى هذا الفصل إلى الإمساك بخيوط المشروع الأخلاقي عند طه في كليته ومساءلته في آنٍ واحد، إذ لا يكفي الإعجاب بعمق التأسيس النظري دون الوقوف النقدي أمام إشكاليات التنزيل والتطبيق.

لا يقف طه عبد الرحمن عند حدود النقد والتشخيص، بل يتجاوزهما إلى البناء والتأسيس؛ فبعد أن أطمأ اللثام في فصول سابقة عن عمق الأزمة التي أوقعت فيها الدهرانية المنظومة الأخلاقية الحديثة، وكشف عن آليات الفصل القسري بين الدين والأخلاق وما

أفضى إليه من إفقار للقيمة الإنسانية، ينتقل في هذا الفصل إلى طرح مشروعه الأخلاقي الإسلامي بديلاً حضارياً أصيلاً يروم من خلاله إعادة الاعتبار للإنسان بوصفه كائناً انتمائياً مكلفاً لا مجرد فاعل نفعي مُحاسب.

2- أركان الدعوة إلى العودة إلى الإسلام عند طه عبد الرحمن:

ينطلق طه عبد الرحمن في تحديده لمفهوم "الدعوة إلى العودة إلى الإسلام" من رؤية أخلاقية تتجاوز الفهم التقليدي الذي يحصر الدعوة في مجرد التبليغ اللفظي أو النشاط الوعظي، إذ يسعى إلى بناء مفهوم شامل للدعوة يقوم على أبعاد معرفية وعملية متكاملة. ولتحقيق ذلك يميز بين مفهوم الدعوة وما صدقها، جاعلاً لكل منهما أركاناً خاصة تحدد طبيعتها ووظيفتها.

أ- مفهوم الدعوة إلى العودة إلى الإسلام:

يرى طه عبد الرحمن أن مفهوم الدعوة يقوم على ركنين أساسيين هما: التنوير والتحرير.

فالتنوير لا يقتصر على نقل المعرفة أو نشر المعلومات، بل هو عملية أخلاقية تهدف إلى إخراج الإنسان من حالة الجهل إلى حالة المعرفة النافعة. فالمعرفة في التصور الإسلامي ليست قيمة محايدة، وإنما تكتسب مشروعيتها من آثارها الأخلاقية؛ إذ تكون محمودة إذا قادت إلى الخير، ومذمومة إذا أفضت إلى الشر. ومن ثم فإن الدعوة تؤدي

وظيفة تنويرية تتمثل في إعادة الإنسان إلى المعرفة الهادية التي تمكنه من إدراك حقائق الوجود وتوجيه سلوكه وفق القيم الإسلامية.

أما التحرير، فيتجاوز المعنى السياسي أو الاجتماعي للحرية ليحيل إلى تحرير الإنسان من أشكال التبعية للمخلوقات والأهواء، وربطه بالخالق وحده. فكل تعلق يفضي إلى الخضوع لغير الله يعد نوعاً من العبودية، بينما يمثل الارتباط بالله أسمى درجات الحرية. وعليه فإن الدعوة تؤدي وظيفة تحريرية تسعى إلى إعادة الإنسان إلى استقلاله الروحي والأخلاقي من خلال تخليصه من مختلف صور الاستلاب والخضوع.

وبذلك تتحدد الدعوة إلى العودة إلى الإسلام باعتبارها مشروعاً أخلاقياً مزدوجاً يجمع بين التنوير المعرفي والتحرير العملي، فيهدف إلى بناء إنسان واعٍ بحقائق دينه، ومتحرر من مختلف القيود التي تعوق تحقيق إنسانيته الكاملة⁽¹⁾.

ب- ما صدق :

إذا كان مفهوم الدعوة يتحدد بالتنوير والتحرير، فإن تحققها في الواقع يقوم على ركنين آخرين هما: العموم والسلوك.

ويقصد بالعموم أن الدعوة ليست وظيفة مقصورة على العلماء أو المؤسسات الدينية، بل هي مسؤولية جماعية يشترك فيها جميع المسلمين، كل بحسب موقعه وقدرته. فالعالم والحاكم، والمتعلم وعامة الناس، بل والأمة بأسرها، يمكن أن يكونوا فاعلين في العملية الدعوية متى التزموا بمقتضياتها الأخلاقية.

¹ - كتاب سؤال الأخلاق ص 172.

أما السلوك فيمثل الركن الجوهرى فى الدعوة؛ إذ يؤكد طه عبد الرحمن أن الأصل فى الدعوة هو الفعل العملى لا القول المجرى. فالسلوك الأخلاقى هو الوسيلة الأولى للتأثير والإقناع، بينما يأتى الخطاب اللفظى تابعاً له ومكماً لوظيفته. ومن هذا المنطلق تصبى الدعوة تجسيداً عملياً للقيم الإسلامية فى الواقع قبل أن تكون خطاباً موجهاً إلى الآخرين. ويترتب على هذا التصور نتيجتان أساسيتان:

- أن كل مسلم يعد داعية بالأصالة ما دام سلوكه يعكس قيم الإسلام وأخلاقه، سواء مارس الدعوة بالقول أم لا.

- الثانية أن الأمة الإسلامية، بما تحمله من رصيد قيمى وسلوكى مستمد من الشريعة، تشكل فى مجموعها ذاتاً دعوية واحدة، قادرة على أداء رسالتها الحضارية متى حافظت على مقوماتها الأخلاقية والتربوية⁽¹⁾.

3- ضروب المحاصرة للدعوة إلى عودة الإسلام:

يرى طه عبد الرحمن أن الدعوة إلى عودة الإسلام دعوة تنويرية وتحريرية ذات بعد ربانى وإنسانى، غايتها إعادة وصل الإنسان بربه وبالناس على أساس القيم الأخلاقية. ونظراً لخصوصية هذه الدعوة ومكانتها، فقد تعرضت لأشكال متعددة من المحاصرة التى تعيق قدرتها على أداء دورها الإصلاحى فى التنوير والتحرير. ويعرف المحاصرة بأنها كل تضيق يحول دون بلوغ الدعوة مقصدها الأصلي، مما يجعلها صورة من صور الظلم الواقع على المشروع الأخلاقى الإسلامى.

¹ - كتاب سؤال لأخلاق ص 174.

ويُميز المؤلف بين ثلاثة أنماط رئيسة من هذه المحاصرة. أولها المحاصرة الخارجية التي تمارسها القوى الغربية المهيمنة عبر مؤسساتها المختلفة، مستندة إلى ربط الدعوة الإسلامية بالإرهاب من جهة، وتصوير الإسلام بوصفه خطرًا حضاريًا يهدد النموذج الغربي من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى تشويه صورة الدعاة والتضييق على أنشطتهم وحررياتهم.

أما المحاصرة الداخلية فتتمثل في القيود التي تفرضها بعض الأنظمة السياسية أو التكتلات الاجتماعية داخل المجتمعات الإسلامية على دعاة الإحياء الديني، نتيجة التأثر بالتصورات الغربية أو بسبب التنافس على النفوذ والسلطة، مما يحول دون ممارسة الدعوة لدورها الإصلاحية في المجال العام.

في حين تتمثل المحاصرة الذاتية في الأخطاء التي يقع فيها بعض الدعاة أنفسهم عندما يستعيرون مناهج ومفاهيم غريبة عن روح الدعوة الإسلامية، مثل التسييس المفرط الذي يحوّل الدعوة من مشروع أخلاقي تربوي إلى مشروع سياسي، أو تبني العقلانية التجريدية التي تعلي من النظر المجرد على حساب العمل والمقاصد الشرعية. ويرى طه عبد الرحمن أن هذه الممارسات تضيق أفق الدعوة وقد تقضي إلى إفراغها من مضمونها الأخلاقي والروحي⁽¹⁾.

¹ - سؤال الأخلاق ص 179.

4- سبل رفع المحاصرة عن الدعوة إلى عودة الإسلام:

يرى طه عبد الرحمن أن رفع المحاصرة عن الدعوة إلى عودة الإسلام يقتضي الالتزام بثلاثة مبادئ أساسية هي: تصديق الفعل للقول، وترتيب التغيير، وتقديم التغيير الأقوى. فالداعية مطالب أولاً بأن يجسد في سلوكه القيم التي يدعو إليها، حتى تكتسب دعوته المصدقية والتأثير. كما أن التغيير ينبغي أن يتم وفق مراتب متدرجة تبدأ بما هو أقرب إلى قدرة الإنسان وتأثيره، مع تقديم المجال الذي يملك فيه الداعية أكبر قدر من الفاعلية.

وانطلاقاً من هذه المبادئ، يؤكد المؤلف أن مواجهة المحاصرة الخارجية لا تكون مباشرة، لأنها تتجاوز قدرة الداعية الفردية، كما أن المحاصرة الداخلية لا يمكن تجاوزها إلا عبر الحوار والإقناع. أما المجال الذي يملك فيه الداعية سلطة التغيير المباشر فهو ذاته، ولذلك فإن رفع المحاصرة الذاتية يعد المدخل الأساس لكل إصلاح.

وتتحقق إزالة هذه المحاصرة الذاتية من خلال التخلي عن التسييس المفرط والعقلانية التجريدية، واستبدالهما بالتخلق والعمل؛ فالتخلق يرسخ الإخلاص والقيم الأخلاقية، بينما يربط العمل بين المعرفة والممارسة. وعندما ينجح الداعية في إصلاح ذاته، تنشأ الثقة والتعاون بينه وبين غيره من الدعاة، مما يؤدي إلى رفع المحاصرة الداخلية وتوحيد الصف. ومن ثم يصبح المجتمع الإسلامي أكثر قدرة على مواجهة المحاصرة الخارجية، عبر تعزيز التماسك الداخلي وتحقيق الاكتفاء والتعاون. وهكذا يخلص طه عبد الرحمن إلى أن إصلاح

الذات هو الأساس الذي تتبني عليه إزالة مختلف أشكال المحاصرة التي تعترض مشروع الإحياء الأخلاقي الإسلامي⁽¹⁾.

وصل طه عبد الرحمن إلى أخلاق الإسلام من خلال اعتباره أن أصل الأزمة التي تعاني منها الدعوة الإسلامية ليس أزمة سياسية أو فكرية فحسب، بل هو أزمة أخلاقية في المقام الأول. لذلك جعل رفع المحاصرة يبدأ بإصلاح الداعية لذاته، لأن نجاح الدعوة مرتبط بمدى تجسد القيم الإسلامية في سلوك حاملها. فمبدأ تصديق الفعل للقول يقود إلى قيمة الصدق والقدوة، ومبدأ ترتيب التغيير يرسخ المسؤولية الذاتية وتقديم إصلاح النفس، أما مبدأ تقديم التغيير الأقوى فيؤكد أن المجال الذي يملك الإنسان القدرة الأكبر على إصلاحه هو ذاته.

ومن هنا يخلص إلى أن تجاوز المحاصرة الذاتية لا يكون إلا بالتحقق بخلي التخلق والعمل؛ فالتخلق يرسخ الإخلاص والتزكية والالتزام بالقيم الأخلاقية، والعمل يربط المعرفة بالممارسة ويجعل السلوك موافقاً للمبادئ. وعندما تتحقق هذه الأخلاق في الفرد تنشأ الثقة والتعاون بين أفراد المجتمع، فتزول المحاصرة الداخلية، ثم تنتهي الأمة لمواجهة المحاصرة الخارجية.

وعليه، فإن طه عبد الرحمن يجعل الأخلاق الإسلامية أساس الإصلاح وشرطه الأول؛ إذ يرى أن التغيير الحقيقي يبدأ من بناء الإنسان أخلاقياً وروحياً، وأن استعادة الدور الحضاري للإسلام لا تتحقق بالسلطة أو الصراع السياسي، بل بإحياء قيم الصدق

¹ - كتاب سؤال الأخلاق ص 185 .

والإخلاص والعمل والتعاون والمسؤولية، وهي القيم التي تشكل جوهر أخلاق الإسلام ومقصدها التتويري والتحريري.

5- الأخلاق الإسلامية :

أخلاق القرآن لم تكن الأخلاق في يوم من الأيام هامشاً في الفكر الإسلامي، بل كانت دائماً في صميمه وعماده، منذ أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم مُعلنًا أن مقصد رسالته إنما هو إتمام مكارم الأخلاق، فجعل من التخلُّق الفاضل غاية الدين وثمرته الكبرى. وعلى هذا الأساس الراسخ بنى المفكرون المسلمون عبر القرون تقاليد فكرية ثرية في التأمل الأخلاقي، تنوعت مشاربها وتعددت مناهجها دون أن تحيد عن مرجعيتها القرآنية الجامعة.

فقد اضطلع المتكلمون بمهمة التأسيس العقدي للأخلاق، ورَسَّخوا العلاقة الجوهرية بين الإيمان بالله والالتزام بالفضيلة، معتبرين أن انفصال الأخلاق عن منبعها الغيبي يُفضي حتماً إلى انهيارها. وأسهم الفلاسفة المسلمون كالفارابي وابن مسكويه في بناء فلسفة أخلاقية رفيعة جمعت بين موروث اليونان وروح الإسلام، وجعلت من تهذيب النفس وتركيتها سبيلاً لبلوغ السعادة الحقيقية. أما الصوفية فقد أضافوا إلى هذا الحقل بُعداً وجدانياً وروحياً عميقاً، إذ ربطوا الفضيلة بتجربة القرب من الله وجعلوا التخلُّق بأخلاق الله غاية السلوك ومنتهاه. وفي العصر الحديث، أعاد المصلحون كمحمد عبده والكواكبي وإقبال طرح السؤال الأخلاقي من زاوية تجديدية، تنبهاً فيها إلى الخطر الذي تمثله الحداثة الغربية على منظومة القيم

الإسلامية، غير أن أدواتهم النقدية ظلت في أغلب الأحيان غير كافية لمواجهة عمق التحدي.

وفي هذا السياق الفكري المتراكم، يأتي طه عبد الرحمن ليُشكّل محطة استثنائية في مسار التفكير الأخلاقي الإسلامي المعاصر؛ إذ لا يكتفي بالتشخيص أو الدفاع، بل يتجاوز ذلك إلى بناء مشروع فلسفي أخلاقي متكامل الأركان، يستند إلى أدوات منطقية ولسانية صارمة ويستلهم في الوقت ذاته روح التراث الإسلامي في أعماق تجلياته. وينطلق طه من يقين راسخ مفاده أن أزمة الأمة الإسلامية إنما هي في جذرها أزمة أخلاقية قبل كل شيء، وأن استعادة الفاعلية الحضارية لن تتحقق إلا بإعادة الاعتبار للأخلاق في مركزيتها القرآنية الأصيلة، بعيداً عن كل تقليد جامد أو انبهار أعمى أو اختزال وظيفي. ومن هنا يغدو اهتمامه بالأخلاق اهتماماً تأسيسياً وجودياً يطال بنية التفكير والسلوك والحضارة في آنٍ واحد، مما يجعل مشروعه الأخلاقي استحقاقاً فكرياً جديراً بالدراسة والتأمل والمساءلة.

يرى طه عبد الرحمن أن من واجب المسلمين في العصر الحديث تقديم الإسلام بالصورة التي تبرز قدرته على الاستجابة لتحديات الواقع المعاصر، مع بيان حقيقته الحضارية والأخلاقية وإقناع الآخرين بأهميته بوصفه عنصراً أساسياً في بناء الحضارة الإنسانية. وفي هذا السياق، ينتقد بعض المفكرين الذين يسعون إلى تبرير قيمة الإسلام من خلال الاقتصار على إبراز توافقه مع القيم النافعة التي أنتجها الفكر الغربي، إذ إن هذا

المسلك لا يبين حاجة العالم إلى الإسلام بقدر ما يجعل قيمته تابعة لما تقرره الثقافة الغربية من معايير.

ونتيجة لذلك، يُختزل الإسلام في كونه مجرد حامل للقيم نفسها التي تحملها الحداثة الغربية، مما يضعف خصوصيته الرسالية ويكرس الاعتقاد بعدم الحاجة إليه باعتباره مصدرًا مستقلًا للهداية والإصلاح. ومن ثم فإن هذا النمط من التقديم، في نظر طه عبد الرحمن، لا يخدم حقيقة الإسلام، بل قد يسهم في تشويه صورته وإفراغه من رسالته الكونية، فيتحول في الأذهان من نعمة إلهية يُنتفع بها إلى ظاهرة يُنظر إليها باعتبارها عبئًا أو مصدر تهديد ينبغي التخلص منه⁽¹⁾.

أ- الأخلاق عند العرب:

امتلك العرب قبل الإسلام منظومة من القيم والعادات والتقاليد التي شكّلت ملامح حياتهم الاجتماعية والأخلاقية. وقد جاء الإسلام ليُغيّر ما كان صالحًا من هذه القيم بعد تهذيبه واستكمال مقاصده، وليلغي ما ارتبط منها بالعصبية والجهل وضيق الأفق. وقد تجسدت أسمى مكارم الأخلاق العربية في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، إذ عُرف بين قومه بصفاء السيرة ونبل الخلق، بعيدًا عن انحرافات الجاهلية وممارساتها، فكان ذلك تمهيدًا طبيعيًا لاصطفائه لحمل الرسالة.

ومن هذا المنطلق أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أن غاية رسالته تتمثل في إتمام مكارم الأخلاق، بما يعني استكمال البناء الأخلاقي للإنسان وترسيخ قيمه الرفيعة. ومن أبرز ما تميزت به

¹ - حوارات من أجل المستقبل ص 150.

الأخلاق الإسلامية أنها عملت على تحرير الإنسان من مختلف أشكال العبودية، سواء كانت للمال أو الجاه أو العصبية القبلية أو المصالح الشخصية، بل وحتى من الخضوع لأهواء النفس وشهواتها. وبذلك أصبح الإنسان المسلم موحد الوجهة، متوازن الشخصية، مستمداً قيمه من مرجعية واحدة، خلافاً لمن تتنازعه الأهواء والرغبات المتعارضة فتفقدته تماسكه الداخلي.

امتلك العرب قبل الإسلام منظومة من القيم والعادات والتقاليد التي شكّلت ملامح حياتهم الأخلاقية والاجتماعية، فجاء الإسلام ليُبقي على ما كان صالحاً منها بعد تهذيبه وتقويمه، وليُلغي ما ارتبط بالعصبية والجهل وضيق الأفق. وقد تجسدت أسمى هذه المكارم في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، إذ عُرف بنقاء السيرة وسمو الأخلاق، فكان ذلك تمهيداً طبيعياً لاصطفائه لحمل الرسالة. ومن هنا أعلن أن غاية بعثته هي إتمام مكارم الأخلاق، بما يعني استكمال البناء الأخلاقي للإنسان وتوجيهه نحو الكمال الممكن.

وقد تميزت الأخلاق الإسلامية بقدرتها على تحرير الإنسان من مختلف أشكال العبودية، سواء كانت للمال أو الجاه أو العصبية أو الأهواء الشخصية، لتجعله مرتبطاً بمرجعية التوحيد وحدها. وبهذا التحرر يكتسب الإنسان وحدةً داخلية وتوازناً نفسياً وأخلاقياً، بخلاف من تتنازعه الرغبات والشهوات المتعارضة فيفقد انسجامه مع ذاته وقيمه الإنسانية.

ويُعدّ الرسول صلى الله عليه وسلم التجسيد العملي لأخلاق القرآن، كما عبّرت عن ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: «كان خُلُقُه القرآن»، أي إن القيم والمثل التي دعا إليها القرآن تجلت

في شخصيته وسلوكه بأكمل صورة ممكنة. ومن ثم ارتبطت الفضائل الأخلاقية في الإسلام بالصفات الإلهية العليا، فأصبح التخلق بالقيم القرآنية سبيلاً إلى نيل رضا الله وتحقيق السعادة الإنسانية. وبهذا انتقل المثال الأخلاقي من مجرد الاقتداء بالبشر إلى الارتباط بالمثل الإلهية التي تمثل الغاية العليا للكمال الخلقى.

وقد وجد المسلمون في القرآن الكريم وفي السيرة النبوية منبعاً غنياً للقيم والمبادئ الأخلاقية، فسعوا إلى تمثيلها بدرجات متفاوتة، بين سابق إلى الخيرات ومقتصد وظالم لنفسه، مع بقاء باب التوبة والإصلاح مفتوحاً للجميع. وقد تجلت ثمرة هذا البناء الأخلاقي في المجتمع الإسلامي الأول الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث برهن على قدرته في مواجهة مختلف التحديات السياسية والاجتماعية والعسكرية، مؤكداً أن الأخلاق في الإسلام ليست مجرد مبادئ نظرية، بل منظومة عملية تتجسد في السلوك والتجربة الحية، وتؤسس لحضارة تقوم على القيم والعدل والرحمة⁽¹⁾

ب- قرآنية الأخلاق:

تُعد الأخلاق من المقاصد المركزية التي جاء القرآن الكريم لترسيخها في حياة الإنسان، إذ يتجه خطابه إلى بناء الشخصية الإنسانية من الداخل، انطلاقاً من إصلاح القلب وتزكية النفس باعتبارهما الأساس الذي تقوم عليه الاستقامة السلوكية. ولذلك يمكن النظر إلى القرآن بوصفه كتاباً موجّهاً في جوهره إلى بناء المنظومة الأخلاقية للإنسان، حيث تتخلل القيم الأخلاقية مختلف آياته وتشريعاته وتوجيهاته.

¹ - محمد كمال إبراهيم جعفر، الفلسفة والأخلاق ص 240.

ومن هذا المنظور، تمثل الأخلاق البعد العملي للدين والتجسيد الواقعي لمبادئه، إذ لا تكتمل حقيقة التدين إلا بانعكاسها في السلوك والمعاملة. وقد كان للأخلاق النبوية، المستمدة من الهدى القرآني، أثر بالغ في جذب الناس إلى الإسلام وإقناعهم بمبادئه، حتى إن كثيراً من المشركين تأثروا بما رأوه من سمو أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وما حملته الرسالة الإسلامية من قيم الرحمة والعدل والإحسان. وفي هذا السياق، تؤكد المرويات النبوية الارتباط الوثيق بين الدين والأخلاق، حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق جوهر التدين وحقيقته، مبيّناً أن كمال الإيمان يظهر في تهذيب النفس وضبط الانفعالات والارتقاء بالسلوك الإنساني⁽¹⁾.

ج/ القرآن دستور أخلاقي:

لا يقتصر القرآن الكريم في معالجته للأخلاق على جانب الوعظ والإرشاد، بل يؤسس لمنظومة أخلاقية متكاملة تُنظم حياة الإنسان وتوجه سلوكه في مختلف المجالات. وقد أبرز هذا البعد الأخلاقي الشامل الأستاذ محمد عبد الله دراز في كتابه «دستور الأخلاق في القرآن»، حيث بيّن أن القرآن يقدم تصوراً متكاملاً للأخلاق قائماً على أسس عقديّة وروحية وعملية مترابطة.

وتتبع دستورية القرآن الأخلاقية من مبدأ التوحيد الذي يشكل أساس الرؤية الإسلامية للإنسان والوجود؛ فالأخلاق تمثل التجسيد العملي للتوحيد في الواقع الإنساني. ومن ثم فإن قيمة الإيمان لا تُقاس بمجرد الاعتقاد النظري، وإنما بمدى انعكاسه في السلوك والمعاملة. فكلما تجلت قيم الصدق والأمانة والعدل والإحسان في حياة الفرد والمجتمع، كان ذلك دليلاً

¹ - كمال الحيدري، أخلاقنا للمرجع الديني، ص 48.

على رسوخ التوحيد وآثاره العملية. وفي المقابل، فإن غياب هذه القيم يضعف حقيقة الإيمان مهما بقيت مظاهره الشكلية قائمة. ولذلك ربطت النصوص الشرعية بين الإيمان والأخلاق ربطاً وثيقاً، وجعلت حسن المعاملة وكف الأذى عن الناس من أبرز الشواهد على صدق التدين. وهكذا تصبح الأخلاق في المنظور القرآني ليست مجرد فضائل تكميلية، بل معياراً أساسياً لقياس حقيقة الإيمان وتجسيداً عملياً لمعاني التوحيد في حياة الإنسان⁽¹⁾.

د- عمر بن الخطاب: تجليات الأخلاق الإسلامية بين الحزم والرحمة

تجسدت أسمى معالم الأخلاق والقيم الإسلامية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أرسى نموذجاً فريداً لدولة العدل والقانون. وقد اتسمت إدارته للدولة وتعامله مع الرعية بمزيج بديع من الشدة في الحق والرحمة بالخلق، ومن أبرز ملامح هذا النموذج.

6- العدل والمساواة المطلقة:

رسخ مبدأ أن "العدل أساس الملك"، فكان لا يفرق بين غني وفقير، أو حاكم ومحكوم. محاسبة الولاة: وضع نظاماً دقيقاً لـ محاسبة الولاة وكبار المسؤولين، وكان يطالبهم بإحصاء ثرواتهم قبل توليهم المناصب لمنع استغلال النفوذ، وعزل من تثبت عليه شبهة التقصير.

1-6 التوازن بين الشدة والرحمة الشدة في الحق :

عُرف بالحزم والقوة في تطبيق الحدود وإرساء هيبة الدولة، لدرجة هيئته التي جعلت الشياطين تفر من طريقه، وكان شديداً على المفسدين والخارجين عن القانون. الرحمة والرأفة

¹ - كتاب أخلاقنا ص50.

بالرعية: في المقابل، كان شديد التواضع والرحمة بالضعفاء والمحتاجين. ومن أشهر مواقفه توليه رعاية الأرملة بنفسه وحمل أكياس الدقيق على ظهره ليلاً لإطعامهن، وقوله الشهير: "لو أن بغلة عثرت في العراق لظننت أن الله سيسألني عنها: لم لم تمهد لها الطريق يا عمر؟".

2-6 المسؤولية الاجتماعية ورعاية المحتاجين:

أسس نظاماً متطوراً ل الضمان الاجتماعي من خلال "بيت مال المسلمين"، لضمان توفير القوت والكساء لكل فرد في الدولة، بغض النظر عن دينه أو عرقه. كان يتفقد أحوال الرعية ليلاً، ويستمع لشكاوى الناس بنفسه، ويسعى لحلها فوراً .

3-6 الشورى والحرية المسؤولة :

أرسى قواعد الشورى في اتخاذ القرارات المصيرية، فكان يستشير كبار الصحابة وأهل الرأي ولا يستبد برأيه. فتح الباب أمام الرعية لانتقاد الحاكم ومحاسبته، مجسداً مقولته الخالدة: "رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي".

4-6 الزهد والتواضع :

رغم اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهده لتشمل الشام ومصر والعراق وفارس، إلا أنه عاش حياة الزهد والنقشف، فكان يلبس المرقع من الثياب ويأكل الخشن من الطعام⁽¹⁾.

¹ - الجزيرة، مدونات، إدارة الأزمات في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، عام الرمادة، علي محمد الصلابي، 26-12-2019.

ويبقى القرآن الكريم مرجعية أخلاقية لتحقيق الحياة الكريمة، تكشف آيات لقمان الحكيم عن منهج قرآني متكامل في بناء المنظومة الأخلاقية، إذ لا تكتفي بإطلاق المبادئ مجردة، بل تؤسسها على قاعدة عقديّة راسخة تبدأ بتوحيد الله وتنتهي بالمحاسبة، فتمنح الأخلاق صفة الإلزام المطلق لا التفاوض الاجتماعي. وتتجلى عبقرية هذا المنهج في ربطه المتدرج بين مستويات الأخلاق الثلاثة: الأخلاق مع الله عبادةً وشكراً، والأخلاق مع الوالدين برّاً دون إذعانٍ في المعصية، والأخلاق مع الناس بالتواضع ونبذ الكبر وسداد القول. وما يميّز هذا النموذج أنه يجعل الرقابة الداخلية لا الخارجية هي المحرك، من خلال استحضار علم الله بمتقال الذرة، فيتحوّل الإنسان من إنسانٍ مُراقبٍ إلى إنسانٍ رقيبٍ على نفسه. ولجعل القرآن مرجعيةً أخلاقية فاعلة في الواقع المعاصر، لا يكفي استحضاره نصاً يُتلى، بل لا بد من منهجٍ أكاديمي يستخرج منه الفلسفة الأخلاقية الكاملة ويُقارنها بالنظريات الوضعية، كأخلاق كانط والنفعية، ليثبت أن القرآن لا يُشرّع السلوك فحسب، بل يُعالج جذر الأزمة الأخلاقية التي تعجز عنها المرجعيات الوضعية، وهي إجابة سؤال: لماذا أكون أخلاقياً حين لا يراني أحد؟

7- آفاق الإصلاح الأخلاقي في المشروع الائتماني عند طه عبد الرحمن:

ينطلق مشروع طه عبد الرحمن الائتماني من تشخيص عميق للأزمة الحضارية المعاصرة، باعتبارها أزمة أخلاقية في المقام الأول، قبل أن تكون أزمة سياسية أو اقتصادية أو معرفية. فالتقدم المادي الذي حققته الحداثة الغربية لم ينجح، في نظره، في تحقيق التوازن

الروحي والأخلاقي للإنسان، بل أفضى إلى تعميق مظاهر الاغتراب والتفكك القيمي وهيمنة النزعة المادية والأداتية على مختلف مجالات الحياة. ومن ثم، فإن الإصلاح الحقيقي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إعادة بناء الإنسان أخلاقياً وروحياً.

ويتمثل الأفق الأول للإصلاح في إعادة الاعتبار للأخلاق بوصفها أساساً للفكر والعمل والحياة الاجتماعية. فالأخلاق عند طه عبد الرحمن ليست مجرد منظومة من القواعد السلوكية، بل هي مبدأ وجودي شامل يوجّه علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين وبالعالم. لذلك يدعو إلى تجاوز التصورات الحديثة التي فصلت بين المعرفة والقيم، وجعلت العقل أداة للسيطرة والمنفعة، نحو عقل أخلاقي يجمع بين الفهم والمسؤولية.

أما الأفق الثاني، فيتمثل في بناء «الإنسان الائتماني» الذي يشكل محور المشروع الإصلاحى برمته. فالإنسان، وفق الرؤية الائتمانية، كائن مؤتمن على نفسه وعلى غيره وعلى العالم الذي يعيش فيه، وهو مطالب بأداء هذه الأمانة من خلال الالتزام بالقيم الأخلاقية والروحية المستمدة من المرجعية الإسلامية. ومن هنا يصبح الإصلاح الحضاري مرتبطاً بإصلاح الذات وتركيتها قبل الانشغال بإصلاح البنى والمؤسسات.

ويتجلى الأفق الثالث في إعادة وصل الحداثة بالأخلاق. فطه عبد الرحمن لا يدعو إلى رفض الحداثة أو الانغلاق عن منجزاتها، وإنما إلى إعادة توجيهها وفق مقتضيات القيم الإسلامية، بما يسمح ببناء حداثة أخلاقية تتجاوز الاختلالات التي أفرزتها التجربة الغربية.

ولهذا يؤكد ضرورة الانتقال من تقليد النماذج الجاهزة إلى الإبداع الحضاري القائم على الخصوصية الثقافية والمرجعية الأخلاقية للأمة.

كما يفتح المشروع الائتماني أفقاً إصلاحياً في المجال الاجتماعي والسياسي من خلال ترسيخ قيم المسؤولية والتضامن والمواخاة، وتأسيس العلاقات الإنسانية على مبادئ العدل والإحسان والكرامة. فالمواطنة، في هذا السياق، لا تقوم على الحقوق المجردة فحسب، بل ترتبط أيضاً بالواجبات الأخلاقية التي تجعل الفرد شريكاً في بناء المجتمع وتحقيق الخير العام.

وبذلك يتجاوز مشروع الائتمانية حدود التنظير الأخلاقي ليغدو مشروعاً حضارياً متكاملًا يهدف إلى إعادة تشكيل الإنسان والمجتمع وفق رؤية تجعل الأخلاق أساس النهضة والتجديد، فالإصلاح المنشود عند طه عبد الرحمن لا يبدأ من الخارج، بل من الداخل الإنساني، عبر بناء ذات أخلاقية واعية بأمانتها ومسئوليتها، وقادرة على الإسهام في إقامة حضارة تجمع بين التقدم المادي والارتقاء الروحي⁽¹⁾.

1-7 المشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمن بين النقد والتقييم :

أ- تقييم لمشروع طه عبد الرحمن

يُثير إصرار طه عبد الرحمن على التمييز بين «روح الحداثة» وتجلياتها التطبيقية جملةً من التساؤلات النقدية، خاصة أنه من أبرز المفكرين الذين نبهوا إلى مخاطر الفصل بين الحقيقة والقيمة، وبين الواقع والواجب، وبين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون. فالمشروع

¹ - طه عبد الرحمن، معالم الإنسان الائتماني في المشروع الأخلاقي، العدد 100، صيف 2008م.

الحدائي الغربي، في أحد أبعاده الجوهرية، تأسس على إقصاء الأخلاق من المجالات المركزية للحياة الحديثة، مثل الدولة والاقتصاد الرأسمالي والتقنية والبيروقراطية والعقلانية الأدوات، وهو ما جعل الممارسة الفعلية للحدائفة بعيدة عن الادعاءات القيمة التي رافقت نشأتها.

ومن هذا المنظور، يذهب بعض النقاد إلى أن الفصل بين روح الحدائفة وتطبيقاتها التاريخية قد يؤدي إلى التغاضي عن الارتباط العميق بين المبادئ النظرية للحدائفة ومساراتها العملية. كما يرون أن الصورة الإيجابية التي قُدمت عن التجربة الأوروبية والأمريكية لم تكن دائماً انعكاساً موضوعياً للواقع التاريخي، بل أسهمت في بنائها سرديات تمجيدية صاغتها القوى المهيمنة وقدمتها بوصفها نموذجاً كونياً للتقدم والعيش الإنساني.

وعليه، فإن إعادة قراءة التاريخ الغربي قراءة نقدية تصبح ضرورة معرفية لفهم حقيقة الحدائفة ومسارات تشكلها؛ إذ إن كثيراً مما يُتداول حول التجربة الأوروبية الحديثة لا يخلو من أبعاد أسطورية أو تبريرية حجب جوانب مهمة من ممارسات الهيمنة والاستعمار والاستغلال التي صاحبت صعود الغرب الحديث. ومن ثم فإن أي تقييم موضوعي للحدائفة يقتضي تجاوز الروايات التمجيدية السائدة والبحث في العلاقة المعقدة بين المبادئ المعلنة والتجليات التاريخية الفعلية.

يرى بعض الباحثين أن المشروع الفكري الشامل لطفه عبد الرحمن يمثل، في جانب منه، استجابة نقدية للمشروع العقلاني الذي بلوره . فبينما أقام الجابري تصويره المعرفي على

مركزية «العقل البرهاني» بوصفه أساسًا للنهوض الفكري والحضاري، جعل طه عبد الرحمن من «العقل المسدد» المرتكز الرئيس في مشروعه الرامي إلى تأسيس حداثة إسلامية ذات بعد أخلاقي وروحي. ومن هنا يثار تساؤل نقدي مفاده: إذا كان العقل البرهاني قد أفضى، بحسب بعض القراءات، إلى اختلالات الحداثة الغربية وأزماتها، فهل يمكن أن يقود العقل المسدد بدوره إلى إنتاج اختلالات خاصة بالحداثة الإسلامية؟

وفي مواجهة هذا التساؤل، يؤكد المدافعون عن المشروع الطاهوي أن الأزمة الجوهرية للحداثة المعاصرة لا تكمن في العقلانية من حيث هي عقلانية، وإنما في مسار العلمنة الذي أدى إلى الفصل بين الأخلاق وبقية مجالات الحياة، فنتج عن ذلك الانفصال بين الحقيقة والقيمة، وبين الواقع والواجب، وبين المعرفة والمسؤولية الأخلاقية. ومن ثم فإن معالجة أزمات الحداثة لا تتحقق بمجرد تطوير الأدوات العقلية أو التقنية، وإنما تقتضي إعادة الاعتبار للبعد الأخلاقي بوصفه مكونًا أساسيًا في بناء الإنسان والمجتمع.

وفي هذا الإطار يُقدّم مفهوم «العقل المسدد» باعتباره محاولة لتجاوز حدود العقل البرهاني والعقلانية الأدواتية، من خلال وصل المعرفة بالفعل الأخلاقي وربط التفكير بالقيم والمسؤولية. ولذلك فإن إعادة بناء هذا النمط من العقل تُعد، في نظر طه عبد الرحمن، مدخلًا لمعالجة الاختلالات التي أفرزتها الحداثة الغربية، وسعيًا إلى تحقيق التوازن بين مقتضيات العقل ومتطلبات الأخلاق. كما أن هذا التوجه لا ينفرد به طه عبد الرحمن، بل يجد ما يسنده في عدد من الاتجاهات الفلسفية النقدية المعاصرة، وفي مقدمتها، التي نبهت

إلى محدودية العقلانية الأداة وأكدت الحاجة إلى استعادة البعد القيمي والأخلاقي في توجيه الفعل الإنساني. وانطلاقاً من ذلك، يُنظر إلى الأخلاق بوصفها شرطاً ضرورياً لتحقيق التوازن الإنساني والازدهار الحضاري، لا مجرد عنصر ثانوي يمكن فصله عن المعرفة أو الممارسة الاجتماعية.

يثير المشروع الفكري لطله عبد الرحمن سؤالاً جوهرياً يتعلق بإمكان بناء تصور جديد للإنسان في ظل هيمنة النموذج الذي أنتجته الحداثة الغربية وشكل ملامح الإنسان الحديث. وينطلق هذا التساؤل من اعتبار أن الفلسفة، في جوهرها، لا تستمد معناها إلا من انشغالها الدائم بسؤال الذات الإنسانية: من نحن؟ وما طبيعة الإنسان الذي نسعى إلى بنائه؟ وهو السؤال الذي ظل محور التأمل الفلسفي عبر قرون طويلة، قبل أن يتراجع حضوره في الفكر الحديث لصالح الاهتمام بالمعرفة التقنية والتقدم المادي.

وفي هذا السياق، يؤكد عدد من المفكرين المعاصرين، من بينهم و، أن العناية بالذات وتكوينها كانت من القضايا المركزية في مختلف التقاليد الفلسفية والثقافية، كما شكلت أحد المرتكزات الأساسية في التراث الإسلامي. غير أن الثقافة الحديثة، بفعل نزعتها المادية والاستهلاكية، همّشت هذا البعد، ووجهت اهتمامها نحو الجوانب التقنية والإنتاجية على حساب البناء الروحي والأخلاقي للإنسان.

ومن هذا المنطلق، يذهب أنصار المشروع الطاهوي إلى أن الحاجة إلى تصور جديد للإنسان تنبع من الاختلالات التي أفرزتها الحداثة الغربية على مستوى الذات الإنسانية؛ إذ

أنتجت نمطاً من الفرد يعاني أزمات روحية وأخلاقية عميقة رغم ما حققه من تقدم مادي. ولذلك فإن تجاوز هذه الأزمة يقتضي إعادة التفكير في مفهوم الذات وإعادة بنائها وفق أسس أخلاقية وروحية أكثر توازناً.

وعليه، فإن مشروع «الإنسان الائتماني» عند طه عبد الرحمن لا يُفهم بوصفه مجرد تصور نظري بديل، بل باعتباره مشروعاً إصلاحياً يهدف إلى إعادة تشكيل الذات الإنسانية من خلال التربية الأخلاقية والتزكية الروحية. غير أن نجاح هذا المشروع يظل رهيناً بتوفير الشروط الثقافية والاجتماعية والتربوية التي تمكن من إحداث هذا التحول، خاصة في ظل هيمنة النموذج الحداثي الذي أثبت، في نظر أصحابه ومنتقديه على السواء، محدوديته في تحقيق التوازن بين التقدم المادي والارتقاء الأخلاقي للإنسان.

يمكن تلخيص جوهر الفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن في انطلاقها من اعتبار الإنسان كائناً أخلاقياً بالأساس، وأن الأخلاق تمثل العنصر الجوهرية الذي يحدد هويته ويميزه عن سائر المخلوقات. غير أن هذا التوصيف لا يقتصر على إبراز الطبيعة الأخلاقية للإنسان، بل يتجاوزها إلى التأكيد على ما يترتب عنها من مسؤوليات وواجبات. فالإنسان، وفق المنظور الائتماني، مؤتمن على ما أودع لديه من نعم وإمكانات، ومطالب بالوفاء بمقتضيات هذه الأمانة في مختلف مجالات حياته.

ويستند هذا التصور إلى المرجعية القرآنية التي تجعل الإنسان خليفة في الأرض، يتمتع بحق الانتفاع بخيراتها، لكنه في الوقت نفسه يتحمل مسؤولية إعمارها وإصلاحها والمحافظة

على توازنها. ومن ثم فإن العلاقة التي تربط الإنسان بذاته وبالآخرين وبالعالم من حوله ليست علاقة استغلال أو هيمنة، وإنما علاقة رعاية ومسؤولية وائتمان. فالأمانة تقتضي أن يتعامل الإنسان مع جسده وعقله وبيئته وسائر الموجودات تعاملًا أخلاقيًا يقوم على الحفظ والإصلاح لا على الإفساد والتوظيف النفعي المجرد.

وعلى هذا الأساس، يضيف طه عبد الرحمن على الفعل الإنساني بُعدًا أخلاقيًا شاملاً، بحيث لا يُنظر إلى الأشياء أو الكائنات باعتبارها مجرد وسائل لتحقيق الغايات، وإنما باعتبارها موضوعات للأمانة والمسؤولية. ومن هنا تتجلى القطيعة التي يقيمها المشروع الائتماني مع النزعة الأداتية والعقل الأداتي اللذين طبعوا الحداثة المعاصرة، إذ يسعى إلى إعادة تأسيس الفعل الإنساني على مبادئ الواجب الأخلاقي والرعاية والمسؤولية الائتمانية.

يُبدى بعض الباحثين توافقًا واسعًا مع المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها المشروع الائتماني عند طه عبد الرحمن، معتبرين أنه يقدم رؤية متماسكة لإعادة وصل المعرفة بالأخلاق والعمل. ومع ذلك، فقد وُجّهت إلى هذا المشروع انتقادات من بعض الدارسين المعاصرين الذين رأوا أن طه عبد الرحمن يضيق مجال الفلسفة من خلال ربطها بالمرجعية الإسلامية، بدل الانفتاح على أفق كوني أشمل.

غير أن المدافعين عن المشروع الطاهوي يرون أن هذا النقد يقوم على افتراض مسبق مفاده أن العلمانية إطار شامل ومحايد، في حين يُنظر إلى الدين باعتباره إطارًا خاصًا أو محدودًا. وهم يؤكدون أن هذا التصور يغفل الطبيعة التاريخية والثقافية للعلمانية ذاتها، وما

تتطوي عليه من افتراضات فلسفية وقيمية لا تقل خصوصية عن غيرها من المرجعيات الفكرية. ومن ثم فإن ادعاء الشمولية أو الحياد المطلق يظل محل نقاش ونقد.

كما أن طه عبد الرحمن لا يدّعي تقديم نموذج عالمي موحد للحدثة، بل يدعو إلى إمكان تعدد صيغ الحدثة وتنوعها وفق الخصوصيات الحضارية والثقافية للمجتمعات. ولذلك فإن مشروعه لا يقوم على فرض نموذج أحادي، وإنما على البحث عن حدثة ذات مرجعية أخلاقية وروحية تتبع من السياق الإسلامي وتستجيب لحاجاته التاريخية والثقافية.

وفي هذا الإطار، تمثل الفلسفة الائتمانية محاولة لتجاوز الفصل بين العلم والعمل، وبين المعرفة والسلوك، من خلال بناء نمط من الوجود الإنساني تتكامل فيه الأبعاد المعرفية والأخلاقية والعملية. ومن هذا المنطلق، يرى أنصار هذا التوجه أن إتاحة المجال أمام مختلف الثقافات لتطوير رؤاها الفلسفية والأخلاقية الخاصة، في إطار من الحوار والتعددية الحقيقية، من شأنه أن يسهم في معالجة العديد من الأزمات الفكرية والقيمية التي يشهدها العالم المعاصر، وأن يفتح آفاقاً أوسع لبناء إنسانية أكثر توازناً وعدلاً⁽¹⁾.

يرى طه عبد الرحمن أن التجديد الحضاري لا يتحقق من خلال تقليد النماذج الأجنبية أو استيراد منجزاتها المادية والتقنية فحسب، بل يقوم أساساً على بناء رؤية حضارية متكاملة تعيد تنظيم العلاقة بين الإنسان وقيمه الأخلاقية، وبين التراث والواقع، وبين الفكر والممارسة.

¹ - حوار مع المفكر وائل حلاق حول إصلاح الحدثة: الأخلاق والإنسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمن، 13 سبتمبر 2011.

ومن هذا المنطلق، يبلور مشروعًا فلسفيًا يهدف إلى تأسيس نموذج حضاري إسلامي قادر على تجاوز الاختلالات الأخلاقية التي أفرزتها الحداثة الغربية، مستندًا إلى جملة من الأسس المنهجية والفكرية التي تجعل الأخلاق محورًا لكل عملية إصلاح وتجديد.

ب- أولوية الأخلاق في البناء الحضاري :

تحتل الأخلاق موقعًا مركزيًا في المشروع الحضاري عند طه عبد الرحمن؛ فهي ليست عنصرًا ثانويًا أو مكملًا للفكر والعمل، بل تمثل الأساس الذي يوجههما ويضبط مسارهما. وفي هذا السياق، ينتقد التصور الحداثي الذي اختزل الأخلاق في بعدها النفعي وجعلها أداة لخدمة المصالح المادية، مؤكدًا أن القيم الأخلاقية ينبغي أن تؤدي وظيفة توجيهية تتجاوز المنفعة الفردية إلى تحقيق الخير العام وترسيخ المسؤولية الإنسانية.

وانطلاقًا من هذا التصور، يقدم طه عبد الرحمن مشروعًا متكاملًا للتجديد الحضاري لا يقتصر على نقد الحداثة أو اقتراح بدائل نظرية لها، بل يسعى إلى إعادة بناء الحضارة الإسلامية من الداخل من خلال إصلاح الإنسان وتزكية وعيه الأخلاقي والروحي. فالتجديد الحضاري، في نظره، يبدأ من الإنسان قبل المؤسسات، ومن بناء الذات قبل بناء الهياكل؛ إذ إن قدرة الإنسان على إحداث التحول الحضاري تظل مرتبطة بمدى نجاحه في تحقيق التوازن بين العقل والقلب، وبين المعرفة والقيم، وبين الفكر والسلوك.

كما يؤكد أن الحضارة ليست مجرد تراكم للمعارف أو تحسين للظروف المادية، وإنما هي مشروع تربوي وأخلاقي شامل يربط بين العلم والعمل، وبين المعرفة والالتزام القيمي.

وبهذا المعنى يصبح الإنسان فاعلاً أخلاقياً يوظف قدراته وإمكاناته لخدمة الصالح العام وصون كرامته وكرامة غيره.

وفي إطار هذا التصور، يطرح طه عبد الرحمن مفهوم «المواطنة المتصلة» بوصفه نموذجاً للعلاقة الأخلاقية بين الفرد والمجتمع. فهذا المفهوم يتجاوز التصور الليبرالي الذي يركز على الحقوق الفردية بمعزل عن الواجبات الأخلاقية، ليؤكد أن المواطنة الحقيقية تقوم على الترابط والتضامن والمسؤولية المتبادلة. فالفرد لا يُنظر إليه باعتباره كياناً مستقلاً ومنعزلاً، بل بوصفه عضواً فاعلاً في شبكة من العلاقات الإنسانية التي تؤسسها قيم المؤاخاة والإحسان والتعاون⁽¹⁾.

2-7 الحداثة الأخلاقية في الفكر الإسلامي المعاصر :

ومن ثمّ، تصبح التربية الروحية والتكوين الأخلاقي شرطين أساسيين لإنجاح أي مشروع حضاري؛ لأن الإصلاح المجتمعي لا يمكن أن يتحقق دون إصلاح الإنسان ذاته. كما أن الشرعية السياسية، في هذا الإطار، لا تستمد مشروعيتها من القوة أو الإجراءات القانونية وحدها، بل من مدى التزامها بالقيم الأخلاقية وقدرتها على تحقيق العدالة وصون الكرامة الإنسانية وخدمة المصلحة العامة .

ومن الانتقادات التي وُجّهت إلى المشروع الفلسفي لطله عبد الرحمن ما طرحه الباحث الجزائري ، الذي ناقش مسألة تأصيل المفاهيم في فكره، معتبراً أن ما يقدمه لا يندرج ضمن

¹ - مشروع طه عبد الرحمن للتجديد الحضاري، مقالات فكرية، عبد الرحمن حسنيوي، 23 فيفري 2026

التأصيل بالمفهوم المتداول، بقدر ما يمثل عملية إعادة بناء وصياغة للمفاهيم انطلاقاً من رؤية إبداعية خاصة تستند إلى المرجعية الحضارية والتاريخية للأمة الإسلامية.

ويرى بلعقروزي أن طه عبد الرحمن، في سعيه إلى تأسيس حداثة إسلامية قائمة على «روح الحداثة» ومبادئها الثلاثة، قد تجاوز مجرد تأصيل المفاهيم إلى ما يمكن وصفه بإعادة تأثيلها وإكسابها دلالات جديدة تتناسب مع مشروعه الفكري والحضاري.

وتكشف هذه الانتقادات، على اختلاف منطلقاتها، عن الأهمية الفكرية للمشروع الطاهوي وما أثاره من نقاشات فلسفية واسعة. كما تؤكد أن أفكاره تستحق المزيد من الدراسة والتحليل، خاصة أنها تقوم على رؤية أخلاقية وروحية قد تبدو للوهلة الأولى ذات طابع مثالي أو نزعة تزكوية واضحة، ومع ذلك، فإن هذه المثالية لا تقلل من القيمة النظرية للمشروع، بقدر ما تثير تساؤلات حول إمكانات تنزيله في الواقع المعاصر الذي تشكلت كثير من بنياته ومؤسسته في ظل النموذج الحداثي الغربي، بما يحمله من تصورات وممارسات قد تتعارض في بعض جوانبها مع المرجعية الإسلامية التي ينطلق منها طه عبد الرحمن⁽¹⁾.

¹ - عبد الرزاق بلعقروزي. المساءلة النقدية للحداثة والعولمة في مشروع طه عبد الرحمن الفلسفي، مخبر البحث في الدراسات النقدية ومثارة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة العدد 4، سنة 2011.

خلاصة الفصل:

خلصنا في هذا الفصل إلى أن المشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمن لا يُعدُّ إضافةً نظريةً فحسب، بل هو نقد جذري لآليات التفكير الحدائثي الغربي الذي فصل الأخلاق عن جوهر الإنسان، مُعوضاً إياها بتقنيةٍ ماديةٍ بحتة. وقد أثبتت تحليلاتنا أن معالم هذا المشروع ترتكز على مبدأ الائتمان والعمل الأخلاقي بوصفهما أدواتٍ لتحويل الفرد من كائنٍ بيولوجي إلى كائنٍ أخلاقي فاعل في محيطه.

أما على مستوى حدود الفاعلية، فقد تبين أن طه عبد الرحمن قد نجح في صياغة بديلٍ قيمي يتسم بالتماسك المنطقي والعمق التراثي، إلا أن فاعلية هذا المشروع تظل مشروطةً بمدى انخراط الفاعلين التداوليين في تنزيل هذه القيم وتجاوز عائق التجريد. وبناءً عليه، يمكن القول إن مشروع طه عبد الرحمن الأخلاقي يظل مشروعاً تأسيسياً بامتياز، يفتح أفقاً رحباً لإعادة بناء الحضارة على أساس القيم، بشرط توفر الإرادة الجماعية والممارسة العملية التي تنقل هذا التصور من منطق الأفكار المكتوبة إلى منطق الحياة المعيشة.

وبهذا، لا يمثل هذا المشروع نهاية المطاف، بل دعوةً مفتوحةً لجدلٍ حضاريٍّ يربط الأصالة بالتحديات المعاصرة.

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي استقصت أبعاد السؤال الأخلاقي في الفكر العربي المعاصر، عبر بوابة المشروع الإصلاحى لطفه عبد الرحمن، يتبين أن الأزمة الأخلاقية التي تعيشها الأمة ليست عرضاً طارئاً، بل هي نتاج تراكمات فكرية وحضارية عميقة؛ حيث تتقاطع صدمة الحداثة الغربية مع إشكاليات التلقي داخل السياق الإسلامى. وقد سعى هذا البحث إلى تفكيك معالم هذه الأزمة واستشراف آفاق تجاوزها انطلاقاً من المرجعية التراثية والروحية.

لقد كشفت الدراسة أن طه عبد الرحمن قد أرسى نموذجاً أخلاقياً فريداً، يحرر الفعل الإنسانى من أسر النزعات المادية والاختزالية، ليمنحه أفقاً "ائتمانياً" وروحياً يعيد وصل الأخلاق بأصولها التعبدية. وبذلك، لا يمثل مشروعه مجرد محاولة تنظيرية، بل بناءً معرفياً متكاملًا يسعى إلى ردم الفجوة بين الدين والأخلاق، ومواجهة تحديات العصر بمنظومة قيمية صلبة.

لقد نجح طه عبد الرحمن، من خلال فلسفته الائتمانية، في تقديم نقد جذري للحداثة التقنية، وطرح بديلاً يرتكز على مفاهيم "المسؤولية" و"العبودية لله"، بما يضمن صون كرامة الإنسان في عالمٍ تهيم عليه المادة. وتكمن القيمة الجوهرية لهذا المشروع في قدرته الفائقة على الجمع بين "الأصالة" في الالتزام بالمرجعية الإسلامية، و"التجديد" في الانفتاح النقدي على الفكر الإنسانى المعاصر؛ مما يجعله واحداً من أعمق وأبرز المشاريع الفلسفية التي

أنتجت في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، وملاذاً فكرياً لكل من ينشد أخلاقاً تتجاوز الإكراهات التقنية إلى رحابة المعنى الروحي.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها:

1. أن الحداثة الغربية بنزعتها الدهرانية أسهمت في إحداث قطيعة جذرية بين الأخلاق والدين، مما أفضى إلى إفراغ الفعل الأخلاقي من عمقه الروحي وتحويله إلى مجرد ضوابط نفعية متحوّلة.

2. أن طه عبد الرحمن قدّم مشروعاً فكرياً تجديدياً متميزاً يرتكز على الأخلاق الائتمانية بوصفها الأساس الجوهرى لأي إصلاح حقيقي، مؤكداً أن الأخلاق لا تستكمل شروطها الحقيقية إلا بارتباطها بالمرجعية الإسلامية القرآنية.

3. أن مفهوم التخلق المؤيد الذي أسسه طه عبد الرحمن يُمثّل بديلاً فكرياً ناضجاً في مواجهة الأخلاق الوضعية، إذ يجعل من الإنسان كائناً مسؤولاً أمام الله عن أفعاله وتصرفاته.

4. أن نموذج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُجسّد تطبيقاً حياً ناجحاً لأخلاق الإسلام في الحكم والتسيير، ويثبت إمكانية الجمع بين الشدة والرحمة في إطار منظومة أخلاقية متوازنة.

5. أن المشروع الطاهائي، على ما يكتنفه من تعقيد أسلوبى وعمق مفاهيمى، يظل مشروعاً فكرياً خصباً يستحق مزيداً من البحث والدراسة، لا سيما في ظل الحاجة الماسة إلى تجديد الفكر الأخلاقى الإسلامى المعاصر.

وفي ضوء ما توصل إليه البحث، يوصى الباحث بجملة من التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بالدراسات الفلسفية والأخلاقية الإسلامية المعاصرة وإدراجها ضمن المناهج الأكاديمية.

- تشجيع الباحثين على الاشتغال بفكر طه عبد الرحمن واستثمار مفاهيمه في معالجة الإشكاليات القيمية والأخلاقية المعاصرة.

- العمل على ترجمة المشروع الائتماني إلى برامج تربوية وتعليمية تسهم في إحياء الفاعلية الأخلاقية في الواقع العربى والإسلامى.

- تعزيز الدراسات المقارنة بين المشروع الأخلاقى لطه عبد الرحمن والنظريات الأخلاقية الغربية المعاصرة من أجل إبراز خصوصيته وإمكاناته التجديدية.

وختاماً، يبقى السؤال الأخلاقى مفتوحاً على آفاق بحثية رحبة، وتظل الحاجة ماسة إلى مواصلة الاشتغال على هذا الحقل المعرفى الحيوى، إيماناً بأن النهضة الحضارية الحقيقية للأمم لن تتحقق إلا حين تستعيد أخلاقها وتُعيد توصيلها بجذورها الروحية والإيمانية، وتُفعل قيمها في مختلف مجالات الحياة الفردية والاجتماعية والحضارية .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

1. طه عبد الرحمن . بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين . الشبكة العربية للأبحاث، والنشر الطبعة الأولى . بيروت 2014.
2. طه عبد الرحمن . تجديد المنهج في تقويم التراث المركز الثقافي العربي .الدار البيضاء المغرب. الطبعة الثانية. (ب.ت)
3. طه عبد الرحمن . حوارات من أجل المستقبل. الشبكة العربية للأبحاث والنشر الطبعة الأولى، بيروت. 2011.
4. طه عبد الرحمن . روح الحداثة مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية المركز الثقافي العربي . الطبعة الأولى. الدار البيضاء. المغرب. 2006
5. طه عبد الرحمن. الحوار أفقا للفكر. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت لبنان. الطبعة الأولى. 2013.
6. طه عبد الرحمن. سؤال في الأخلاق. مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية. المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء . المغرب. الطبعة الأولى. 2000.

2- المراجع:

1. إبراهيم جعفر محمد كمال، في الفلسفة والأخلاق، دار الكتب الجامعية، جامعة القاهرة،

1968

2. جمال شحيد ووليد قصاب، خطاب الحداثة في الأدب: الأصول والمرجعيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2005.
3. جون بودريار، نقلاً عن: فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.
4. حسن حنفي، الجابري: حوار المشرق والمغرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990.
5. الحسن طلال، أخلاقنا، للمرجع الديني السيد كمل الحيدري، مؤسسة الامام الجواد للفكر والثقافة، بغداد، 2015
6. السلام بوزيرة ، طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، جداول، الحمرا، شارع الكويت، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2011
7. عبد الرحمن حسنيوي. مشروع طه عبد الرحمن للتجديد الحضاري. مقالات فكرية. 23 فيفري 2026
8. عبد الرزاق بلعقروزي. المساءلة النقدية للحداثة و العولمة في مشروع طه عبد الرحمن الفلسفي. مخبر البحث في الدراسات النقدية ومقارنة الأديان. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة. العدد 4 سنة 2011
9. علي محمد الصلابي. إدارة الأزمات في عهد سيدنا عمر بن الخطاب. عام الرمادة. الجزيرة مدونات

10. فارح مسرح، الحداثة في فكر محمد أركون ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط 5 ، 2226.
11. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبعة فنية منقحة مفهرسة ، مؤسسة الرسالة، الطبعة 6.
12. محمد برادة، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، ع4، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1984.
13. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات وتحليلات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.
14. مصطفى خلال، الحداثة ونقد الأدلوجة الأصولية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
15. معلوف لويس، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، 01 كانون الثاني 1973.

3- المجالات والدوريات:

1. ملك بن نبي، شروط النهضة، مشكلات الحضارة، ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق.

4- المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، لسان العرب، مجلد 2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955.
2. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج 3.
3. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، مجلد 2، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط2، 2001.
4. مجد الدين. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي. القاموس المحيط. تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. طبعة فنية منقحة مفهومة. مؤسسة الرسالة. طبعة 6.

5- التوثيق الحي (المصور):

1. شريط وثائقي خاص بالدكتور طه عبد الرحمن مع قناة الجزيرة الفضائية. بتاريخ 2017 /06/15.
2. محمد العوضي. صراحتي بإيماني أثارت العلمانيين. الفيلسوف طه عبد الرحمن. منصة على اليوتيوب. 9 أكتوبر 2024.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	كلمة الشكر
	الإهداء
02	مقدمة
الأول الخلفية الفكرية والفلسفية الفصل	
10	تمهيد
11	1- المفاهيم والتصورات
11	1-1 مفهوم الأخلاق
13	1-2 مفهوم الحداثة وتحولاته الفلسفية
18	1-3 مفاهيم عامة
19	2- جذور الحداثة الغربية وإرهاصات وأسباب ظهورها
21	3- البيئة التكوينية للفيلسوف طه عبد الرحمن : المناكب والمسالك والأفق الفكري
24	4- الحداثة الغربية وإشكالية القيم مقارنة نقدية من منظور د طه عبد الرحمن
29	5- المضار الخلقية للحضارة القولية
29	أ- آفة التضيق
29	ب- آفة التجميد
30	ج- آفة التقليل
31	6- نقد العقلانية العلمية للحداثة
31	1-6 خصائص الإجراءات العلمية والصياغة التقنية
32	2-6 العولمة وإشكالاتها الأخلاقية في فلسفة طه عبد الرحمن
34	3-6 إفراغ الفعل الأخلاقي من محتواه القيمي

37	أولاً: سيطرة الاقتصاد
37	ثانياً: سيطرة التقنية
38	ثالثاً: سيطرة الشبكة والاتصال
40	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: تشخيص الأزمة الأخلاقية المعاصرة بين تداعيات الحدائث الغربية وآفاق التجاوز الفكري الإيماني	
42	تمهيد
43	1- أثر الفكر الغربي الحديث في تشكل الأزمة الأخلاقية في الواقع العربي
44	2- نشأة الأزمة الأخلاقية
46	3- خصائص التخلق المؤيد و الخروج من الآفات
46	1. آفة التضيق
46	أ- مبدأ الإيجاب
46	ب - مبدأ التكثر
47	ج - مبدأ الترتيب
47	د - مبدأ الاتساع
48	2-3 آفة التجميد
48	أ- مبدأ الاشتغال المباشر يقوم على 3 شروط متكاملة
48	ب - مبدأ التخلق بالأسماء الحسنى
49	ج - الاقتداء الحي

49	3.3 آفة التقيص
49	أ- الشعور بالسعادة
50	ب - النظرات الإنسانية الواسعة
50	ج - الذوق الجمالي الرفيع
51	3-4 درء الآفات الخلقية للعولمة
52	4- الخروج من أزمت النمط المعرفي الحديث
53	أولاً: تماسك النسق المعرفي الحديث
53	ثانياً - الدور الفاسد
54	ثالثاً: القصور والجزئية
55	5- الأنموذج الانتمائي واتحاد الأخلاق بالدين (كتاب بؤس الدهرانية)
55	1-5 السياق الحداثي وانفصال الأخلاق عن الدين
55	أ- روح الحداثة
56	ب- مبدأ الرشد
57	أولاً - ركن الاستقلال
58	ثانياً - ركن الإبداع
58	ج- مبدأ النقد
59	أولاً : ركن التعقيل (العقلنة)
60	ثانياً : ركن التفصيل (التفريق)
60	2-5 مظاهر التفصيل في الفكر الحداثي
61	3-5 مبدأ الشمول
61	أ- ركن التوسع
62	ب - ركن التعميم
63	6- فصل الأخلاق عن الدين
64	1-6 مبادئ فصل الأخلاق عن الدين

64	أ- مبدأ التوجّه إلى الإنسان
64	ب- مبدأ التوسل بالعقل
65	ج- مبدأ التعلّق بالدنيا
65	2-6 كتاب بؤس الدهرانية: النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين
67	أ- الدهرانية وإحلال الإنسان محل الإله
69	ب- من التفكيك إلى البناء
70	ج- مفكرة الحداثة
72	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث: معالم المشروع الأخلاقي الإسلامي عند طه عبد الرحمن وحدود فاعليته
75	تمهيد
76	1- الدعوة إلى فك الحصار عن أخلاق المسلمين
77	2- أركان الدعوة إلى العودة إلى الإسلام عند طه عبد الرحمن
77	أ- مفهوم الدعوة إلى العودة إلى الإسلام
78	ب- ما صدق
79	3- ضروب المحاصرة للدعوة إلى عودة الإسلام
81	4- سبل رفع المحاصرة عن الدعوة إلى عودة الإسلام
83	5- الأخلاق الإسلامية
85	أ- الأخلاق عند العرب
87	ب- قرآنية الأخلاق
88	ج/ القرآن دستور أخلاقي
89	د- عمر بن الخطاب: تجليات الأخلاق الإسلامية بين الحزم والرحمة

89	6- العدل والمساواة المطلقة
89	6-1 التوازن بين الشدة والرحمة الشدة في الحق
90	6-2 المسؤولية الاجتماعية ورعاية المحتاجين
90	6-3 الشورى والحرية المسؤولة
90	6-4 الزهد والتواضع
93	7- آفاق الإصلاح الأخلاقي في المشروع الانتماني عند طه عبد الرحمن
93	أ- تقييم لمشروع طه عبد الرحمن
100	ب- أولوية الأخلاق في البناء الحضاري
101	7-2 الحداثة الأخلاقية في الفكر الإسلامي المعاصر
103	خلاصة الفصل
105	الخاتمة
109	قائمة المصادر والمراجع
113	فهرس المحتويات